# مازلت أتألم

(رواية)

دكتور
إيهاب سلام

مكتبة الآداب
٤٢ميدان الاوبرا.ت ٣٩٠٠٨٦٨

الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م

## (١)

قرر أخيراً أن يفصل الماضى عن الحاضر .. فصلاً باتراً بعد أن ظل يحاول دون جدوى زهاء أكثر من عشرين سنة . خرج من القرية ساعة العصارى والريح ساكنة . والبرد يدغدغ الأطراف والدموع ثقيلة فى العينين . أحجار لا يتمكن من لفظها . رجولته تحول دون ذلك . والقلب مكروب والنفس غير مطمئنة . والعلقم طعم اللسان ، لايدرى أين يذهب . وكل ما يدركه أنه لن يؤوب . وتجرد من ملابس الأفندى وارتدى الجلباب . ولم يلف حول رأسه شيئا . مجرد طاقية قديمة ووضع حزام الحج تحت الجلباب به كل مدخراته .

ترك القرية وراءه دون أن يدرى أين وجهته . وترك خطاباً أنه سيغادر البيت إلى الأبد حتى لا يبحثوا عنه ، وعليهم أن يتصرفوا ويشكلوا حياتهم على اعتبار أنه انتهى من حياتهم .

تنهد وهو يسير تنهيدة كبيرة . يملأ صدره لآخر مرة من هواء القرية . لم يعد قادراً أن يتنفسه فى ظل هذه المرأة المتسلطة . وما كان قد تربى عليه يمنعه أن يطلقها ، ويحول دون أن يؤدبها بالضرب أو بالسب . وقد آثر أن يترك لها المنزل والقرية ويهجر الوظيفة ، فهو يدرّس الكيمياء فى المدرسة الثانوية بمغاغة . حتى

تشبع سيطرتها ، ولتكن هذه السيطرة على أولادها الجانحين. لقد أهانته كثيرا أمامهم سبب أو بغير سبب كأنما كان بينهما ثأر قديم. يسأل نفسه دائماً : ما مت لم تكن تريده زوجاً فلم لم تعارض من البداية ؟ لم تركتنى أضمها وأعطيها اسمى ، ثم كانت الطامة الكبرى تلك التى أحدثت شرخاً كبيراً فى نفسه، طامة جاءت إليه من أولاده.

طفق يتحسس الحزام تحت الجلباب. ذلك الذى ملأه بكل النقود السائلة التى كان يملكها ، وما أكثرها. غير أنه أقلع عن ذلك حتى لا يستلفت الأنظار. وكان الجلباب بنياً غامقاً فلم يترك للحزام أن يظهر للعيان.

قرر فى البداية أن ينتقل من قطار إلى آخر هارباً من مغاغة إلى أى مكان تحت الأرض. بل ركب قطاراً سريعاً ثم قطاراً بطيئاً حتى كان أزف ميعاد العصر فى اليوم التالى وهو واقف فى القطار البطىء.. لأن كل المقاعد من السلك. عارية تماماً من أى كسوة. استغرب أن يكون هناك قطار بهذا الشكل. ثم توقف القطـــار لإصلاحات فى الطريق. نـزل منه يمشـى إلى حيث لا يدرى ، رأى اسم المحطة « سمادون » . ومشى فى اتجاه معاكس للقطار.. فى طريق مسفلت ولكنه وعر.. على طرفيه حقول خضراء مترامية. لا يريد أن يدخـــل إلى أى مدينـــة قد يراها. لا يمكنه أن يترك هواء الريف وخضرته وبهاءه ليعيش فى أسمنت

المدينة وتلوثها وقذارتها. . إنه الآن فى الوجه البحرى بعيداً عن الوجه القبلى. . بعيداً عن مغاغة وسكانها. لكن أين سينام ؟. . لا يوجد فى الريف فنادق. ليعرج إلى المدينة. . من الضرورى أن يجد فنادق هناك. ولو صغيرة الشأن. . سأل عن المدينة. قيل له إنها قرية فردة كعب اسمها أشمون. اذن فهو فى المنوفية الآن. قد يجد بها فندقا يأوى إليه . . لا يعرف ماذا سيعمل ؟. . لا أهمية للعمل الآن ما دام الحزام حول وسطه ذلك الحزام الذى اشتراه للحج به ، غير أنه أخر الحج لأجل غير مسمى بعد أن وقعت الواقعة. لا يمكن أن يجد بيتاً يأويه فى الريف. فليس هناك أناس يقبلون إيواء الغريب ، لذلك عليه أن يخوض الطريق مرغما إلى أشمون. مرت به سيارات أجرة كثيرة مكتظة بالركاب. . ولم يحاول أن يوقف واحدة منها. كان يريد أن ينسى الألم الذى يعتريه بالدب على الأرض وبذل المجهود لعله ينسى. . هناك أناس يحاولون نسيان الألم بالخمر وأنا أنسى الألم بالمشى.

وراح يسائل نفسه. . لِمَ يعذّب نفسه بهذه الدرجة ؟ هل يجب أن يوقع على نفسه العذاب؟ أم يجب أن يوقعه على الآخرين هؤلاء الذين سببوا له هذا الألم العظيم؟ ما الداعى لهذا العذاب؟. لكنه آثر أن يحيا حياة التشرد فى أحضان الطبيعة على أن يعيش حياةَ الدعة والاستقرار فى أحضان هذه المرأة. لكنك

أخطأت إذ تركتَ لها البيت ولم تطردها منه. سوف تشقى ، ولن تشرب ماء السعادة أبداً.. وأين ستنام يا ولداه... لأن أنام على الطوار خير من فراش هذه المرأة. سأكون وحيداً يا نيتشه وسأكون الرجل القوى كما وعدت.. لعنة الله على نيتشه وعليك.. تُعذب نفسك بلا سبب كأنما أنت الجانى وليس المجنى عليك.. وحين اقترب من أطراف المدينة « أشمون » رأى سيركا منصوبا. ولكن الناس لم تكن قد غمرته بطوفانها بعد. كانت الساعة الثالثة بعد العصر. وقد جلس أفرادُ السيرك يأكلون ، واقترب منهم. وسمع كبيرهم يقول :

- تفضل كل معنا .

أجاب بمودة وقد شعر أن معدته تئن:

ـ ماذا تأكلون ؟

قال كبيرهم مبتسما :

- هذه ملوحة.. وهذا بصل .. وذلك خبز.

وراح يشير إلى الأشياء بثقة. أجاب وقد جلس :

- وما المانع ؟. أنا لم آكل الملوحة منذ زمن.

كان هناك كبيرهم سلمان البندقى . وزوجه عجيبة. وابنته لوزة. وابنها سرحان . وخمسة أفراد من الفرقة جالسون

يتناولون الطعام. خمسة افراد لم يحاول كبيرهم سلمان البندقى أن يعرفهم. وسأله : من تكون ؟

- أنا زيد.

وتناول سردينة من يد لوزة. والأب يسأل :

- وماذا تعمل ؟

- على باب الله هل أجد عملاً عندكم ؟

- ماذا يمكنك أن تعمل معنا ؟

لم يفكر وأطلق الكلمة قائلاً :

- حاوياً.

- أمعقول ؟

- هل اشتغلت قبل ذلك حاوياً؟

أجاب بثقة :

- سهل عليَّ.

يلتفت إلى زوجه كأنما يستشيرها :

- ينقص فعلاً سيرك البندقى حاويا.

وكان قد انتهى من أكل السردينة ، فقالت له لوزة :

- خذ أخرى . . وهذه بصلة خضراء لك .

- لقد تمكنتَ من فتح شهيتى . .

- قال الأب : كلُ يارجل ستكون منا وعلينا . ثم سأله : هل عندك مكان تبيت فيه ؟ . .

قال زيد : لا . . لا زلت على باب الله . . قال الأب : سوف نجد لك مكاناً فى السيرك .

وبينما كان يأكل ، طفق يفكر فى الألعاب التى يمكن أن يقدّمها . سوف تكون مادة الكيمياء أولى المواد التى سيقدمها إلى الناس . . يجب أن يستغل علمه لإبهار الجماهير ، ولن يتمكن واحد من معرفة ألعابه لأن أغلب أهل القرى أميون . ولاحظ أن لوزة ترمقه بنظرات طويلة ، وسرحان مغتبط لوجوده معهم . . لعلها تحاول أن تكشف سر هذا الفلاح الذى يرتدى الجلباب والطاقية . وكيف يتحول إلى حاوى فى السيرك! .

وكف عن الأكل وهو يقول : لم أعد مستطيعا . .

كان الأب قد فرغ والأم غادرت المكان . . وبعض العمال بدأوا يجمع بقايا الطعام ليلقوه بعيداً عن السيرك . لم يفكر زيد أن يغسل فمه ، رغم أن بقايا الطعام كانت لا تزال عالقة بأسنانه . مع أن البصل يثير حريقاً مستمراً فى شفتيه ولسانه وداخل فمه وجوفه . . لأنه لم يجد أحداً يغتسل . وجمعت لوزةُ بقايا طَعامهم

وكانوا يأكلون بمعزل عن بقية أفراد الفرقة. وذهبت لتلقيه بعيداً عن مكان السيرك. راح يتأملها وهى تتهادى ، تختلف عن زوجه اختلافاً كلياً. الأولى بدينة متكبرة غليظة القلب. وهذه تبدو رفيعة رقيقة حانية القلب. أما ابنها سرحان فقد بادره قائلا :

- أتعرف حقاً عمل الحواة ؟

قال ضاحكاً : سوف ترى.

- أنا لا أرى السيرك.. لدَّى مدرستى.. أنا فى السنة الثالثة الثانوية .. عندى شهادة.. وتذكر أن ابنه الكبير - رأس العصابة - فى نفس المستوى.

- حاوِل أن تُشاهِد ولو فى يوم الخميس.

- الحقيقة أنى مشغول للغاية سواء بقراءاتى أو اطلاعاتى أو تأملاتى.

- كل هذا .. مرة واحدة.

ثم سأله مستغرباً :

- وما هى مشغولياتك او بالأحرَى تأملاتك ؟

- أفكر فى هذا الكون.

- مرة واحدة؟. أنت إذن حكيم من حكماء الزمان.. كاد أن يقول « انت فيلسوف » فوجد أن هذه الكلمة قد لا يعرفها فلاح فى مثل هيئته.

- أحاول أن أكتشف أسراره.

- وما هى الأسرار التى توصلت لها ؟

- الحقيقة أنا افكر فى بداية الكون من خلال الكون نفسه.

- ما شاء الله.. وماذا عرفت عنها ؟

- عرفت أشياء كثيرة.. عرفت مثلاً أن البداية لا يمكن أن تكون ذات طبيعة مؤقتة.. يجب أن تكون أزلية.. لاتبدأ ولا تنتهى.. الكون هو المؤقت يبدأ كل شىء فيه وينتهى.

- أنت لم تأت بجديد.. ذلك معروف.. فأنا أموت وأنت تموت والحيوان ينتهى أجله. والفراش عمره قصير.. والأفيال عمرها طويل ولكن لامحالة سوف يحتويها القبر. والحديد يتآكل.. والشعاع يتبدد.

- إذن أنت تريد أن تنافسنى.. لكن من قال لك أن الشعاع يتبدد. لعله يسبح بعيداً عنا.. ألاتعرف أن الطاقة تتدهور ولكنها لا تتبدد.

- أحقاً ذلك ؟

- أنا أقول لك إن فى الكيمياء يقول أصحابها إن المادة لا تفنى ولا تُستحدث - ولكن ثبت أنها بالتفاعلات الذرية يمكن أن تتحول إلى طاقة.. والطاقة يمكن أن تتحول إلى مادة.. فالمادة والطاقة تفنيان وتستحدثان لكن خارج هذا الكون.

ينهض زيد وهو يقول : انت عويص خالص - تتكلم كلاماً واعراً لا أفهمه!!.

يضحك سرحان وقد شعر بشيء من الغبطة والعظمة ، ويقول : سوف أعلمك يا أيها الحاوى.

ينظر اليه ضاحكاً وهو يقول : نعم.. نعم.. سوف تعلمنى.

وتأتى لوزة لتنهر ابنها حتى يحل عن الرجل.. وتقول صارخة . هذا الرجل ليس قدك يا سرحان. اذهب واستكمل دروسك هيا لاتعطل الرجل.

ويجلس زيد من جديد على التراب وهو يقول :

- ولد نبيه..

تجلس بالقرب منه وهى تقول :

- الحمد لله.. لن يلحق به حظ جديه وأمه..

يسأل بفضول : وأين أبوه ؟

تقول : سافر إلى العراق لعله يجد عملاً هناك.. وها هى سنوات أربع .تمضى ولم يعد.. بل لم يرسل خطاباً.. ولم يرسل حتى ورقة مالية واحدة نفقة لابنه.

يسأل : ألم تحاولى أن تسألى عنه ؟

تقول بقرف: أسأل من ؟.. أسأل الهواء؟.

* * *

## ( ٢ )

لا بد أن يبحث عن الحواة ·· والطرق التى يستعملونها ·· وأن يتقن أعمالهم · بجانب التجارب العملية التى يعرفها جيدا والتى تثير فزع المشاهدين وإبهارهم · وقرر أن يعود إلى المدينة ليشترىَ بعض المواد الكيماوية · لم يطلب من صاحب السيرك نقوداً ؛ لأنه - كما بدا له - لا يملك نقوداً · كانت معه مدخراته بعضها فى حزام الحج حول وسطه · ويربطها بإتقان حتى لا تفلت ·· سينام وهى تحتضنه · وسيستيقظ وهى تحيطه · نومه خفيف ، لن يتمكن أحد أن يستولى عليه ، سيقاومه حتى يلفظ أنفاسه لو اضطر ه ، الموقف لذلك ·

تجول فى الأسواق وأخذ يفتش عن بائعى العطارة والمواد الكيماوية والألعاب السحرية · واشترى زاداً كبيراً منها ووضعه فى حقيبة جلدية كبيرة · وقرر أن يقدم لعبة أو لعبتين كل يوم تستغرق ساعةً أو أكثر ·· من خلال الدخول فى حركات ضاحكة تثير الجماهير الأمية ·

سافر إلى القاهرة بالقطار · هناك يمكن أن يتزود بالمعرفة ، يعرف القاهرة حارة حارة وشارعاً شارعاً · لقد قضى فيها أربعة أعوام أمضاها فى الدراسة بالجامعة واتصل هناك بأحد الحواة فى

السيرك القومى ليتعلم منه. استقبله أولاً بنفور لكن فى خاتمة اللقاء غمره بفضله . كان مستنكفاً فى البداية أن يُعلم فلاحاً. وحينما عرَّفه بنفسه وعرفه أن أباه يدير سيركاً ويطلب منه أن يكون حاوياً. . علمه عدداً من اللعب.

ولم يخطىء الطريق وهو عائد إلى السيرك. كان يكتب فى الورقة اسم الشارع الذى يدخله والشارع الذى يخرج منه بل ويرسم الطريق رسماً كروكياً. . . وحينما انتهى من مشترياته قرر أن يعود من جديد إلى السيرك ووجد زحاماً كبيراً على بابه وقرر أن يلتقط أنفاسه عند شجرة جميز بعيداً عن الزحام. شجرة الجميز التى كانت تغطى المكان بفروعها ولا ظل لها وقت الغروب.

وهناك وجد سرحان جالساً يتأمل ، وبعد أن صافحه وجلس وبجانبه الحقيبة. قال سرحان متسائلا:

- هل في هذه الحقيبة أدواتك السحرية ؟

أجاب بإيماءة من رأسه: نعم. .

وأخذ يلتقط أنفاسه بالتدريج.

وسمع سرحان يقول : لم أكمل لك ما توصلتُ إليه.

قال زيد متسائلا : فى ماذا ؟

أجاب : أنسيتَ بهذه السرعة؟ . . أنت سوف تعذبنى معك . . قلت لك إن المادة والطاقة لا تفنيان ولاتُستحدثان داخل هذا الكون . فالمادة تنتقل إلى الطاقة ، والطاقة تنتقل إلى المادة . ويبدو أنهما تستحدثان وتفنيان خارج هذا الكون .

يقول زيد ضجراً : دعنى من هذا الكلام . . أنا رجل على باب الله لا أعرف القراءة والكتابة مثلك .

- أمعقول لاتعرف؟

- أستطيع أن أقرأ وأكتب . . ولكن ليس بدرجة إتقانك لهما .

- سأعلّمك يا عم زيد .

- لا يا سيدى . . أتركنى لحالى .

- لا . . لن أتركك . . إن أحداً لايريد أن يستمع هنا إلى تأملاتى . . ويجب عليك أنت أن تستمع .

- قل ياسيدى .

- جميل . . تفهم من المبدأ الذى وصلنا إليه أن الموجودات مؤقتة ولابد أن تكون آتية من بداية أزلية . . بداية لاتبدأ ولا تنتهى .

- يا بنى . . الدنيا كلها من خلق الله .

يقول : ياعم زيد أنا أعرف ذلك . . . لكن أحاول أن أثبت ذلك علمياً . أليست الآية القرآنية الكريمة تقول: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم : قل هو الله أحد الله الصمد . لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ﴾ . أنا أريد أن أثبت ذلك علميا .

ينهض زيد وهو يقول : أتركنى أسعى إلى أكل عيشى .

يمسك به سرحان وهو يقول : ألا تسمع الحقيقة الثانية لبداية الكون؟

تركه وهو يقول : أنا أريد أن أعرف الطريق الثانى لبداية حياتى . .

نظر إليه سرحان بيأس .

يسلم على عاملة التذاكر . . إنها لوزة بشحمها ودمها . ويسألها : أين والدك ؟ تقول له : انه بالداخل .

يدخل من طريق آخر لا يدخله المشاهدون مثلما أشارت إليه لوزة . ويقابل هناك سلمان البندقى الذى يصافحه بامتنان . يسأله سَلْمان : أمستعدٌ أنت ؟ . . يقول زيد : وهل ذلك سهل يا سيدى . لا بد من التحضير أولاً وفى مساء غد أبداً فى تقديم الألعاب المختلفة . وأشار إليه إلى ركن بعيد من الخيمة الكبيرة وطلب منه أن يتخذ هذا الركن مقراً له ويضع فيه حقيبته ويرتب أعماله . لم يكن الركن مضيئاً لكن أعطاه وهو يسير مصباحاً

غازياً ليضعه بالقرب منه. وهناك بدأ زيد يرتب أعماله ترتيباً منطقياً ، لقد اشترى تلك الأسلاك المختلفة التى تتداخل فى بعضها البعض ويتمكن بخفة يده أن يفصلها بعضها عن بعض.. كما اشترى أنواعاً من البخور تثير النفوس وتجعلها تنشرح. وبعضَ المواد الكيماوية التى تندلع منها النيران وفى لحظة معينة تكف عن الاندلاع وهى لحظة يعرفها فيأمرها أن تكف فتكف. وفيما بعد سوف يشترى تلك البذلة التى يحشر فيها الأرانب والأوز والفراخ وبعض الأشـياء الأخرى. أأنت تستطيع أن تفعل ذلك يا زيدان ؟.. وما المانع ؟.. إن العملية عملية تمرين لا غير.. وعلىَّ أن أتدرب جيدا. ألهذا الدرك ينتهى بك الأمر يا زيدان؟. أبعد أن كنتَ مدرساً محترماً تتحول إلى حاو يثير سخرية الناس. أمن أجل امرأة كان يمكنك أن تلفظها من حياتك تعذب نفسك هذا العذاب ؟.. أنا لا أفهمك ولا أفهم خطواتك. اسمع أنا قد أخذت هذا الطريق وسأسيرفيه ، أنا رجل لا طموح عندى ، لا أريد أن أكون وزيراً أو عمدة ولا أريد أن أكون شيئاً ، أريد فقط أن أكون حراً.. ولم لا تعمل عملاً جديراً بك فى مدرسة خاصة بعيداً عن هذه القاذورات. سأجرب هذه الحياة فإن كانت تستهوينى فأهلاً بها وإن لم تكن أغيرها ، لا أعتقد أنك سوف ترضى بها وعما قريب سوف تقلع عنها.

يشعر برائحة البصل تفوح من فمه فيتضايق ثم يستسلم للرائحة. الأمر ليس غريباً ، كم من أيام كنت آكل فيها البصل. ولا بأس إذا أكلته اليوم. البصل له فوائده ولو أن رائحته مقززة.

رتب أشياء وخرج ليتفرج على أفراد السيرك. ورأى ذلك الفتى الصغير القميء الذى يلعب مهرجاً. وقردٌ يطارده ثم يعود يطارد القرد ، وعنزة عجوز تدخل بينهما وهو يتصنع أنه يدربهما ، وخرج من السيرك ليجد سرحان يقرأ فى كتاب على شعاع لمبة.

يقول له : ألا تتعب عينيك ؟

يقول سرحان : لقد تعودتُ عليها.

يقول زيد متسائلاً: فيمَ تقرأ ؟.

يقول سرحان : اقرأ فى الأحياء .

ـ ماذا تريد أن تكون ؟

– أريد أن أدرس الطبيعة، لذلك فأنا فى الثانوية العامة أدرس العلوم.

– أتريد أن تكون مدرساً.

– لا .. أريد أن أكون عالما.

- وفيلسوفاً.

نطق الكلمة دون أن يدرى. فوجد سرحان يسأله:

- كيف عرفتَ هذه الكلمة ؟

- أتظن أننى قروى ساذج ؟!..

- لا.. لقد توسمتُ فيك الذكاء. لذلك رحت أحكى لك تأملاتى.

- تريد لن تقصَّ علىَّ الحقيقة الثانية من بداية الكون.

ينهض من على التراب ويقول : لو سمحت.. لو سمحت..

يستطرد سرحان دون أن ينتظر الموافقة : كل شىء فى الكون له حجم كَبُر أو صغر.. له مكان. حتى هذه السماء التى تبدو لا نهائية هى أماكن متعددة. المســافات فيها أماكن.. وكل ما له مكان فهو حادث.. أى مؤقت. لأنه يمكن أن يصغر أو يكبر وما دام يتغير فهو حادث.. أى مؤقت..

- كلام واعر جداً..

- أريد أن أقول بالبلدى.. إن بداية الكون الأزلية لا يمكن أن تكون ذات مكان.. ولا يمكن أن تكون لا نهائية المكان..

- غريبة!.

- أريد أن أقول إنها مطلقة لا مكان لها.

يكون الزحام قد خَفَّ. وتخرج لوزةُ من الشباك ، وقد دست القروشَ فى كيسٍ كبير ملىء.. وتتقدم منهما وتقول : أهذه هى المذاكرة يا سرحان..؟

* * *

## (٣)

بدأ زيد يتقن مهنة الحاوى. وتمكَّن بفضل دراسته الكيميائية أن يلعب ألعاباً جديدة . لا يلعبها الحواة الآخرون ،فشد الناس إليه ، وكان قد أطلق لشعره العنان ولشاربه ولحيته. وقد وخط الشيب الشعر وظهر كما لو كان فى الخمسين من عمره مع أنه تجاوز الأربعين . وكان يؤدى ألعابه لدى الجماهير ساعةً كاملة ثم ينصرف يغسل وجهه من المساحيق . ويخرج إلى الشجرة الغليظة الكبيرة . شجرة الجميز القريبة من السيرك ليجلس بجانبها وقد صفَّفَ شعره وهندم ذقنه وشاربه . وكثيراً ما تأتى لوزة لتجلس بجانبه . صارا صديقين دون أن يدريا . وتعمقت الصداقه ببطء حتى صارت وداً ومودة.

سألها : ماذا كان ينوى أن يعمل زوجك فى العراق؟

قالت : سافر ليمتلك هناك أرضاً زراعية . ووعدنى أن لو

تحسنت أوضاعه فسوف يستدعيني لأعيش معه · لكنى عرفت من بعض الناس أن الحكومة تجبره على الزواج من عراقية حتى يمتلك الأرض ويفلحها ، ولعل ذلك ما حدث له ، ذهب ولم يعد·

ســـألها : ألم يكن من الواجب أن تسافرى معه انت وابنك ؟

قالت : أنت لا تعرف؛ إننى هنا فى حماية أبى وأمى· كنت أعيش بمفردى معه لكن قد أهنت كثيرا· · لقد تركنى من قبل منذ خمس سنوات ، وكان سرحان فى المدرسة الاعدادية وغاب فترة طويلة ثم عاد من جديد ليبقى عاطلاً · تزوجته عن حب · ورضخ أبى وأمى لطلبى لأنى ابنتهما الوحيدة· · واتضح أنه يريد أن يعيش على حسابهما · أحياناً كانا يطردانه وأحياناً كانا يسمحان له أن يعيش بينهما مقابل أن يأكل ويشرب· · حاول أبى إسناد الشباك له فسرق الإيراد منه، فمنعه عنه · أنا التى أدير الآن شباك هذا السيرك· كنت أحبه فى البداية وأدافع عنه ،لكن بمرور الوقت اتضح لى أنه بلطجى أو متشرد فكرهته·

كان يتأملها وهى تروى له قصتها· عيناها ناعستان سودوان كعيون الغجر ، شعرها فاحم أخفته بمنديل مزركش وشفتاها غليظتان تفترق عن شفتىّ الزوجة المتسلطة الصغيرتين· وجسدها بَضٌ ولو أنه غير ممتلىء·

وكان يجلس بالقرب منها على حشائش الأرض البرية

سرحاناً· يقرأ فى كتاب الكيمياء· وهو يشد فى شعره · والتفتت اليه أمه متسائلة :

- ماذا بك ؟

- بقدر ما أحب الطبيعة أكاد أطلقّ من الكيمياء·

تبسم زيد وهو يقول :

- الكيمياء لعبتى· · يا سرحان · تعال أشرحها لك·

وتنبه إلى خطأه الفادح فى الكشف عن نفسه ، وسرحان يبادره ساخراً :

- لا تعـــرف القراءة والكتابة· · وتّدعى أنها لعبتك· كيف ؟

يحاول أن يمحو خطأه بقوله :

- ألست حاويا ؟· · ثم من قال لك إننى لا أقرأ ولا أكتب· · لقد تركت المدارس فى المرحلة الابتدائية· · ودرست العلوم والحساب·

- لكنك لم تدرس الكيمياء·

- دعنى أسمّعها لك· · وبذلك تستذكرها·

أعطاه الكتاب وهو لا يـزال يسخر منه· وأمه تائهة بينهما تريد أن تحفظ للرجل الكبير مقامه ، والولد الشقى يحاول أن يعبث به ·

وفتح زيد الكتاب وقال : لنبدأ من أوله . . حتى أفهم معك .

- ما المانع؟ لنبدأ .

وتركتهما لوزة وهما يحاولان أن يفهما الكتاب معاً حتى لا يصاب الرجل الكبير بجرح نتيجة إحراجه.

واستغرب سرحان أن الرجل يصحح له الرموز الكيميائية، وزاد استغرابه حينما أخذ يناقشه فيها . وسأله :

- أتعرف الكيمياء ؟

- أجاب : أنا أحاول أن أفهم الكتاب لكنك لا تحاول أن تفهمه . فى كل يوم تعال نقرأ درساً عند العصر قبل أن تغرب الشمس وأبدأ فى تقديم أعمالى على مسرح السيرك .

حينما انتهى من الدرس كان وقت الغروب قد حَلَّ . فالتفت إليه سرحان وقال :

- وقفنا بالأمس عند أن بداية الكون أزلية مطلقة . . والآن أريد أن أقول لك اكتشافاتى الجديدة .

- أما زالت هناك اكتشافات ؟ . يابنى أن آيةً واحدة من االقرآن الكريم تغنيك عن ذلك البحث كله : الآيه الاولى أن الله (لم يلد ولم يولد) . وهذا معناه أنه أزلى . . والآيه الثانية

﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ . آية الكرسى . لتثبت لك ما تقول .

- أنا أعرف ذلك كله ولكنى أثبت لك بالبرهان .. فمثلاً الطبيعة الثالثة لبداية الكون هى أن بداية الكون لا يمكن أن تكون ذات صورة من الصور الموجودة فى الكون . ولا يمكن أن تكون عدماً ثم كان منه الوجود . لا بد أن تكون قوة تشكل الصور .

- وهذه أيضاً موجودة فى سورة الإخلاص :﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾ . أى لا مثيل له .. ثم هو الذى يقول للشىء كن فيكون .

- يا عم زيد الناس فى الماضى كانوا لا يعتقدون ذلك . كانوا يظنون أن بداية الكون هى الشمس والقمر .. أو النار أو الماء . أما أنا فأرى كل هذه الأشياء تبدأ وتنتهى . لذلك لا يمكن أن تكون واحدة منها هى بداية الكون إنما يجب أن تكون قوة غير مرئية قادرة على تشكيل صور كالطاقة والمادة والحيوان والنبات والانسان .

-هذا هو الله ..لم نختلف ..

* * *

## (٤)

سلمان البندقى يتريض فى الصباح الباكر .. لا ينام إلا خمس ساعات فقط .. حينما يقفل أبواب سيركه فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل . ويكون قد رتب كل شىء وتَمَّمَ على كل شىء ودس كيس النقود فى جيبه . يخلو إلى النوم وقد خلع ملابسَ العمل وارتدى فانلةً صوفية وبنطلوناً صوفياً .. وذهب إلى النوم . كان لاعب الأحمال الثقيلة فى ذلك السيرك وصاحبه .. كان مفتول العضلات ، قوى الساعد والساقين ، يبرز فى وجهه شاربٌ كثيفٌ رغم أن رأسه أصيب بالتصحُّر . كان يخرج يتريض فى الصباح يشم نسائم الصبح البليلة العليلة . وقد صادف زيداً يتمشى هو الآخر . لم يكن النوم يواتيه من تلك الفعلة التى اقترفتها امرأته القاسية وأولاده الأشقياء الثلاثة ويمضى يجوب البلاد متشرداً . لم يكن راضياً عن فعلته ، لكن شيئاً قويا كان يدفعه للاستمرار فيها . فكان القلق يراوده دائماً والفزع يتسلط عليه ولو أنه لم يكن يعبأ بهما كجندى .. يريد أعداؤه أن يقرَّ بما كان يعرف ، ولكنه لا يعترف بشىء . كان يعاير نفسه بأنه تخلَّى عن مسئولياته ، ولكنه كان يرد على نفسه : متى يكون الحر مسئولاً عن مجرمين ؟

والتقى الإثنان فى الطريق وهما يمشيان بخطوات جادة سلمان البندقى يتخذها رياضة عسكرية · وزيد يحاول أن تكون رياضة عادية · قال سلمان البندقى :

– لقد دخلت الجيش فى الخمسينات وذقتُ الأمرَّين حتى انتهت خدمتى · ولو أنى فى آخر أيامى بالجيش التحقتُ بسرية الرياضة · وشعرتُ حينئذ بأن أيامى ستـــذوق الســـعادة · وخرجت من الجيش قبل حرب ٥٦ · أحمد الله أننى لم أعمل مراسلة لدى أحد الضباط · وإلا لكنت قد تحولت إلى خادم مقعد أو حاملاً لأطفال الست ·

ثم سكت وتنفس بملء صدره وقال :

– عملتُ بعد تسريحى من الخدمة فى الموالد · كان لدى ذلك القطار الحديدى الذى أدفعه إلى أعلى بيد واحدة · فيصل إلى نهاية المحطة العالية · لعلك رأيتَه بالأمس وأنا أقدّمه كلعبة من ألعابى · يفشل الكثيرون فى دفع الكتلة الحديدية إلى أعلى، ولولا أن الله أعطانى صحة جيدة وقوة خارقة لما تمكنتُ من دفعه· ثم تعرفت بعجيبة زوجتى ، وأقمنا هذا السيرك البسيط منذ خمسة وعشرين عاماً أو أقل قليلا ،وفيه تزوجت ابنتى لوزه ·· وفيه وُلد سرحان ·

هز زيد رأسه مؤكداً أنه فهم · ولو أنه كان يرى أنه ليس

سيركا بالمعنى المفهوم · فليس فيه من ألعاب السيرك سوى هذه الفقرة التى يقفزها أحد العاملين من ناحية إلى أخرى · أو يتشعلق فى الجو بقدميه وهو مطمئن لأن شبكة خفية تقع تحت ناظريه · فإذا ما أفلت فلن يموت ·· بل يسقط على الشبكة التى تبدو فى صورة مساحة واسعة ·· ولكن لا يوجد لديه أسود أو نمور ولامدربو أسود أو نمور ·· إنما هذه العنزة العجوزة وذلك القرد الأبله ··· إنه بناء لمولد صغير · يمكن أن تشاهد فيه مصارعاً أو حامل أثقال أو حاوياً أو مهرجاً معه قرد وعنزة أو صندوق الدنيا · يروى فيه عجوز فَقَدَ أسنانه روايات أبى زيد الهلالى أو الشاطر حسن أو بعض قصص ألف ليله وليله المضحكة من خلال صور مختلفه يراها الريفيون · ثم هناك عجيبة تبيع حلاوة المولد والبسبوسة والهريسة · ولوزة تصرف تذاكر الدخول وتضع النقود فى خزانة صغيرة توطئةً لتملأ بها الكيس · والسيرك يقع فى ملتقى عدة قرى ، وفى نفس الوقت فى الطريق إلى مدينة أشمون · هناك اتجاه إلى سمادون واتجاه آخر إلى منشـــأة جريس ومونسة وطهواى ·

سأله سلمان قائلاً :

– أمرتاح معنا ؟ ··

- نعم ... بكل تأكيد . هل أعجبتك الألعاب؟.

- نعم ... جميلة لفتت نظر الكبار والصغار ، ولكن ماذا كنت تعمل قبل أن تأتى إلينا؟.

- أبداً فلاح .. على باب الله . توقف العمل فى قريتنا بسبب إدخال وابور الحـرث الميكانيـكى . وآلة الحصـاد .. وأصبح الأنفار لا لزوم لهم .. حملتُ نفسى وسافرتُ بعيداً عن القرية أبحث عن عمل .

- لكنك تلعب الألعاب كأنك محترف ?؛

-هذه هواية كنت أمارسها منذ الصغر.

- وتبدو لغتك صعيدية.

- نشأتى كانت فى الوجه القبلى .. خضتُ كل قراه حتى نزحتُ إلى الوجه البحرى .. هذه هى أيامى فى الوجـه البحرى .

تذكر زيد فعلاً أنه كان يمارس أعمال الحواة مع أطفاله . يثير ضحكهم ويقرِّبهم إليه . لكن حينما كبروا شربوا من ماء أمهم ، فتوترت العلاقات بينه وبينهم . لم تكن من بينهم أنثى واحدة يمكن أن تلطِّف الجو بينهم . فصار هناك شد وجذب بينه وبينهم ، يتزعمهم كبيرُهم ويزيد النارَ اشتعالاً صغيرُهم ، وتدس الحطبَ فى النار أمُّهم .

عادا بعد مسيرة نصف ساعة فى الهواء الطلق وبين الحقول الخضراء يتنسمان الهواء بقوة ، ووجدا عجيبة قد أعدَّت لهما الإفطار ، عامود غامق اللون شاياً وجبن قريش وعسل أسود . وعدداً من البيض المسلوق، يبدو أنك يا زيد سوف تعيش الآن بلقمتك .. تعمل مقابل الطعام .. وجلسا يأكلان تشاركهما عجيبة ولوزة وسرحان . وكان قد استعد مرتدياً ثياب المدرسة . وكان يأكل مسرعاً حتى يمكنه أن يخترق الطريق ليجد له سيارة أجرة تأخذه إلى مدينة أشمون حيث تقع المدرسة الثانوية مقابل خمسة قروش للفرد الواحد .

وكان زيد يستعد هو الآخر ليذهب إلى المدينة ليشترى بعض الألعاب السحرية . ولم يفكر سلمان البندقى أن يعطيه نقوداً . لكنه لم يهتم . وركب سيارة الأجرة الآتية من عمق الريف . ولم تكن قد امتلأت بعد بعدد يزيد عن حمولتها .. وجلس بجانب سرحان .. ونظر إليه سرحان ملياً وراح يقول :

– نسيتُ أن أقول لك بالأمس إن القوة التى لا صورة لها وتشكل الصور المختلفة للكون لا يمكن أن تكون قوى متعددة، إنما قوة واحدة ؛ لأنها لو كانت قوى متعددة لفسد الكون وحل الاضطراب فيه بدلاً من النظام ، والنظام كما ترى هو سمة الكون كله .

قال زيد :

- ولعلك نسيت أننى قلت لك إن الله واحد أحد ·

- يا عم زيد أنا أحاول أن أثبت ذلك علمياً ·· وأعرف جيداً أن القرآن الكريم أكد أن الله واحد لا شريك له · وعلمياً لا يُتصوَّر أن تكون هناك قوة لا صورة لها وأزلية ومطلقة أن تكون أكثر من واحد · ثم هذه البداية بداية محضة للكون لا تسبقها بداية ولا نهاية ·

تهكم زيد قائلا :

- أحسنتم يا فتى ·

وتوقف سرحان عن الكلام غاضباً وأخلد إلى الصمت ·

وقال زيد لنفسه: هكذا الشباب فى مقتبل العمر يفكرون فى كل شيء ويحاولون أن يقنعوا أنفسهم بأفكار جديدة ولو أنها قديمة ·

وذهب سرحان إلى مدرسته · أما زيد فقد أخذ يبحث عن حانوت يبيع الملابس الداخلية والجلباب · وبعد أن اشترى ما يلزمه · فكر أن يبحث عن حمام شعبى يستحم فيه · ولكن الحمام الشعبى مفتوح للجميع · فأين سيضع ملابسه ؟· وأين سيضع كيس نقوده؟· عليه أن يستأجر حجرة فى فندق على أن يكون لها حمام خاص ·· وهل فى مثل هذه المدينة يمكن أن تكون هناك مواصفات لمثل هذه الحجرة ؟·فى القاهرة يمكن أن تجد ذلك الصنف من الحجرات · لكن ما دام قد استقر فى هذا السيرك فلم لا يودع أمواله التى فى حوزته أحد المصارف؟ ·

وتحسس بطاقته العائلية فوجدها لا تزال راقدة فى حزام الحج وأخذ يبحث عن مصرف من المصارف حتى وجده . لاحظ أن الموظف لا يهتم أن يودع رجلٌ فى هيئة فلاح مبلغ ثلاثة آلاف جنيه ، وحينما سأله عن عنوانه .. أجـــاب أنه مدينـة أشـمون . سيرك البندقى.. وطلب عدم إبلاغه بأية إخطارات على ذلك العنوان وأن تحفظ حتى يأتى لتسلمها . وحينما فرغ من إيداع ما لديهِ من مال قرر أن يستأجر حجرة فى فندق وهناك يستحم . لقد تعودً على حمام الصبـــاح يومـيـاً . أما الآن فلا يظن أن مثل هذا الحمـام سيحدث .لكن أين يستحم سلمان البندقى أو عجيبة أو لوزة أو سرحان؟ . لا بد أن هناك خيمة مخصوصة قد أعدت لذلك.. ولعلهم يستحمون يوماً فى الأسبوع أو يومين فى الشهر. إن رائحتهم لا تفوح منها رائـحة العـرق الخانقـة . لعلهم يستحمون يوماً بعد يوم فى تلك الخيمة المخصوصة ... كل ما يمكن أن يقال الآن إنه حوّل نفسه إلى إنسان شارد دون أسباب سـليمة . يبدو أن الإنســان تتلبسه شياطين فى بعض الأحيان ولا يتمـكن من الإفلات منهـا . لا.. هنـاك أسباب كثيرة تدعونى لأن أفـر مـن هـذه المـرأة وأولادهـا . أصبحت حيـاتى معهم جحيماً لا يطاق . كان علىَّ أن أفـر بجـلدى بـدلاً من أن أطـق وأموت . إن مـا دفعنى إلـى الهـرب هـو غريزة البقـــاء .. لكنـك رجـل صاحب شـهادة ووظيفـة . وكان يمكنك الاستمـــرار فيها بعيـــداً عنهـم . وهل نسيت أن

المطاردة سوف تبدأ ‥ مطاردتى فى سكنى الجديد ووظيفتى القديمة لن تتوقف ‥ وسيحاول الناس لم الشمل . ثم ولدى اللذان يذهبان ويجيئان معى إلى المدرسة . أليس ذلك ألم جديد يذهب ويجىء معى ؟ ... أما ابنه الثالث فهو يذهب إلى ابتدائية القرية لكنه شيطان رجيم يغرب عنى وَجْهَ النهار ويظهر بعد العصر . . فهل سوف يتركنى فى حالىَ ؟

فى الحمام تذكر كيف كانت تطارده حتى وهو يستحم . تدق عليه الباب حتى لا يهنأ باستحمامه . تقول له : هيا الأولاد يريدون أن يذهبوا إلى مدارسهم ويتعجل فى الاستحمام ويخرج وهو غير راض عن رائحته . ويحاول أن يملأ جسده بماء العطر . كان تراب القرية يطارده وهو عائد ، وكان يجب أن يتخلص منه قبل أن يذهب إلى مدرسته . أما الآن فلن يطارده أحد . هو يحلّق فى سـماء الحرية . لتذهب المدرسة إلى الجحيم . لكن هل سيتمكن حضرة الناظر من أن يجد مدرساً للكيمياء غيره ؟ لعله الآن مقتنع أنه مريض ، ولعله سأل عنه فى بيته فأجيب أنه خرج ولم يعد .

* * *

# (٥)

عبد الحفيظ راوى التراث . هو الذى يعلّم الأطفال حكايات أبى زيد الهلالى .وعنتر الفارس الأسود . والزناتى خليفة . وتبدو أسنانه الهتماء لاتساعده على نطق الحروف . لكن الأطفال يستمعون بإنصات من خلال صندوق الدنيا ويفسرون كلماته بسهولة .. يبدأ عمله من بعد الساعة الثالثة خارج خيمة السيرك . تتسلم لوزة من الطفل القروش الخمسة وتعطيه تذكرة فيتوجه إلى عم عبد الحفيظ ليسلمه التذكرة ويجد له مكاناً فى صندوق الدنيا . يغطيه ويدير الصور ويبدأ هو فى شرح معانى الصور .

أحياناً لا يأتى أحد من الصبية ، فينتحى عبد الحفيظ جانباً ويجلس على حجر صلد انتظاراً لقدوم ثلاثة أطفال ليبدأ عمله . بينما سرحان يستذكر الأدب العربى أو الانجليزى أو يقرأ الكيمياء أو الأحياء أو الطبيعة . كان يحل الرياضيات داخل الخيمة التى خصصت له ولأمه . بينما فى خيمة أخرى يتجمع عمال السيرك الآخرون .. وفى خيمة ثالثة كان سلمان البندقى وزوجه . أما فى خيمة السيرك الرئيسية فكان ينام زيد .. وبجانبه كيس ملابسه وحقيبة أدواته السحرية .

يرفع سرحان وَجْهَه من على كتاب الأدب ويسأل زيداً الجالس على الحشائش بالقرب منه :

- أتعرف من صاحب هذه الأرض التى يقع عليها السيرك ؟

يقول : ومن أين لى أن أعرف ؟

أجاب : إنها الآن ملك لجدى . لم يستأجرها .. وجدها مهجورة . غير مزروعة . فاتخذها مقراً له .. يقول إنه اكتسبها بوضع اليد . يحكى قصة لواضع يد آخر فى القاهرة عرف حكايته وهو عسكرى فى القوات المسلحة . كان يضع يده على أرض مهجورة .. يضع فيها القلل والأوانى الفخارية .. ومضى وقت طويل .. أكثر من عشرين سنة . اكتسبها بوضع اليد وأعلن نفسه مالكا عليها . لقد سوَّرها .. وجدِّى ينتظر أن يسوِّر هذه الأرض لتكون ملكه .

- وما يمنعه من التسوير ؟

- ينتظر أن يتراكم فى يده مبلغ من المال .

- يمكنه مؤقتاً أن يسوِّرها بالأسلاك الشائكة .. أو حتى بالحجر .. أو الطين النىء .

- فكرة .. سأقول له .

ثم يتوقف سرحان عن الكلام ثم يعود له :

- لم أكمل لك نتائج تأملاتى ·

يزفر زيد · · غير أنه يتجاوب معه ويتساءل : ألا يزال هناك نتائج يا سرحان ؟

يقول سرحان : وقفنا عند أن بداية الكون بداية محضة أزلية لاتبدأ ولاتنتهى وهى واحدة · وهى قوة لاصورة لها ولكنها يمكن أن تشكل الأشياء · وكيف تشكل الأشياء ؟ تلاحظ فى الكون أن الأشياء تخرج من بعضها البعض · · فالإنسان خارج من النبات والمواد والطاقات المختلفة · · وهكذا الحيوان · والمواد خارجة من الطاقة · · والطاقة تخرج بعضها من البعض الآخر · · إذن لا بد أن الطاقة هى الخارجة من تشكيل القوة التى لا صورة لها · · وقد وضعت فيها القانون الذى يحوّلها من طاقة إلى مادة إلى مخلوطات كيميائية ومخلوطات غير كيميائية ونبات وحيوان وإنسان ·

- نعم · · نعم · · الآية تقول : ﴿ وجعلنا من الماء كل شىء حى ﴾ · سورة الأنبياء لو تتذكر ·

كان عبد الحفيظ يتسمع وهو جالس ينتظر طفلاً أو طفلين يروى لهما حكاية من حكايات صندوق الدنيا · فابتدره قائلا :

- يا بنى يا سرحان إن مآلك إلى الكفر ·

يرد عليه سرحان قائلا :- هذا علم يا عم عبد الحفيظ ·· والعلم والدين لا يختلفان ·· وأنا أصلى وأصوم ·· ولاأزكى ولكن يتزكى عنى ·· لأنى فقير · فكيف تقول لى إننى سأكفر وأنا أثبت وجود الله ·

يسأل عبد الحفيظ : هل ذكرتَ الله فى كل ما قلت ·

يقول سرحان : نعم ذكرت إنه الأزلى الواحد القوى المشكل للصور ·

يسخر عبد الحفيظ : صور مثل صور صندوق الدنيا ·

يرد عليه قائلاً : إنه نص القرآن الكريم البارىء المصور ·

يقول زيد متدخلا : أنت الذى ستكفر يا عم عبد الحفيظ ·

يسخر عبد الحفيظ قائلاً : آخرتها متر فى مترين ·· وأنا أقول إن المتر ينكمش والمترين ينزل عليهما التخفيض وفى النهاية حفنة من الديدان تأكل بعضها البعض ثم تموت لنفاذ الهواء فى هيكل عظمى أشبه بالصندوق·· ولكن أحداً لا يروى فيه شيئاً ·

يقول سرحان : ومن أدراك ؟ ربما يتكلم وأنت لا تدرى ·· يروى كل ما فعلته فى دنياك ·

يقول عبد الحفيظ : آه لو روى هذا الصندوق ،هذا الهيكل العظمى عنى شيئا ·· سوف أقطع لسانه ··

ضحك زيد وسأل : ماذا تظن أنه سيروى عنك ؟

قال عبد الحفيظ : سيروى عنى أشياء كثيرة . . سيروى أننى ابن باشا سخطه الزمن إلى كناس .

- أمعقول أنت يا عم عبد الحفيظ ابن باشا ؟

- نعم . . بحق وحقيق . . ولكنه باشا فاسد بعيد عنك بدد أمواله على النساء والميسر والخمر . . وترك أولاده بلا علم ولا شهادات ولا حتى صنعة . اللهم الا مكتبة كنت أقرأ فيها بعض الكتب . وأنفر فى نفس الوقت من كتب المدرسة . هل رأيتَ خيبةً مثل هذه الخيبة . أهرب من كتب المدرسة وأقرأ كتباً أخرى مثل الف ليلة وليلة ، والزناتى ، وأبو زيد وعنترة ، وماجدولين والنظرات والعبرات ، ولعلى أرويها الآن فى صندوق الدنيا . حينما مات الباشا تفرَّق الأبناء . . حينما وجدوا أن الدِّين كالتل وقــد تركه الفقيد مختلا . لم يعد أحــد يعرف الآخر . كل واحد أصبح مشغولاً بهمّه يداوى فقره . البنات تمكنّ من الزواج من أحسن الناس على صيت أبيهم . أما أخى الأكبر فقد اشتغل كاتباً فى إحدى المحاكم . وأنا تجولت فى البلاد سائحاً حتى رسوتُ على سيرك المعلم البندقى . . حاملاً معى بعض كتبى . . رزقى الآن . . مقترحاً أن أشغل له صنــدوقاً للدنيا . . وهأنذا أدنو من الخامسة والخمسين لا مال ولاجاه ولا صيت . .

يقول سرحان مقاطعاً ساخراً :

– يا عم عبد الحفيظ من فى هذه البلدة لا يعرف عم عبد الحفيظ ؟ كل الأولاد يعرفونك ٠٠

– الله يحفظك يا بنى ٠٠ كل ما أريده أن أقوله لك يا سرحان يابنى ٠٠ انتبه لدروسك ٠٠ فهذا السيرك سوف ينتهى بانتهاء المعلم البندقى ٠ وعليك أن تسعى .. فإذا كنت تحمل شهادة أو حتى صنعة فلن يخيب رجاؤك فى الدنيا ٠

– أنا منتبه لهذا تماماً يا عم عبد الحفيظ ٠٠ وترانى أتقدم الأولاد فى الفصل ٠٠ بل فى المدرسة ٠٠ وأنا أستذكر قبل افتتاح الدراسة وبعدها ٠

– حفظك اللهُ من كل مكروه ٠

– لكن ذلك لا يمنع أن أتأمل الكون وأتأمل من أى شىء خُلِق ، وكيف خلق ،هل تعرف أنت من أى شىء خلق ؟

يقول زيد : يقول الله تعالى فى سورة الطارق ٠﴿ والسماء والطارق وماأدراك ما الطارق * النجم الثاقب * إن كل نفس لما عليها حافظ فلينظر الإنسان مم خلق * خلق من ماء دافق * يخرج من بين الصلب والترائب * إنه على رجعه لقادر * يوم تُبلى السرائر * فما له من قوة ولا ناصر * والسماء ذات الرجع * والأرض ذات الصدع * إنه لقول فصل * وما هو بالهزل * إنهم

يكيدون كيدا * وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلـهم رويدا *﴾ .

قال سرحان :ذلك الإنسان مما خلق٠٠ فما الكون كله مما خلق٠ إنه خلق من موجات دافقة٠٠ فى سماء عالية بث فيها المدبر الموجات حتى تحولت لشدة كثافتها إلى طاقات٠ وتعرف هذه الطاقات ما دبر لها تكاثفت وتكاثفت ثم تفجرت لتبرد٠٠ وتتحول إلى نجوم وكواكب٠ ولا يزال ربك يخلق هذه الموجات الدافقة وتتكون تلك الطاقات الحارقة٠٠ وتتحول إلى مواد باردة٠ ثم كان الماء٠٠ وجاء من الماء كل شيء حى على هذا الكوكب الدّرى٠

يتدخل زيد قائلا :

- أظن كفى الآن فكراً وتأملا٠٠ وعليك بالمذاكرة٠٠ فقد حان موعد اللعب لنا والمذاكرة لك٠

* * *

## (٦)

لا تختلف كثيراً عن هيئة أبيها٠٠ وقف أمامها بجرمه الهائل٠ يبرم شاربه الكث٠ ويقول :

- محسوبك طالب٠٠ ثم يتأملها ويقول : طالب تذكرة٠

يبدو فمه يتقطر منه السخف٠ تناولت منه القروش الخمسة٠

وهو لا يزال يضحك ويبرم شاربه ويتعمق فى رؤيتها· أعطته التذكرة وقالت :يا سِمّ !

كان العرض الأول لوالدها الشيخ· يدفع المسدس الحديدى فى مجراه ويرتفع مترين·· مرة وأخرى ويصطدم بالحائل الحديدى ويفرقع· ويسأل أبوها الجالسين : مَن القادر على فعل ما فعله عبد القادر ؟ يقول القادم الجديد ذو العضلات المفتولة – وهو يرتدى ثياباً عصرية يبرز منها عضلات صدره بقوة ويكاد قميصه يتمزق من بروزها وشعره الأكرت قد لمع كأنما صب عليه كيلو فيزلين ، وقد ربط فى معصميه جلـدتين كأنما تُقَوّيان زنديه – : « أنا » · نطقها بقوة ، فسكت الناس وقد اشتد حماسهم· ثم أخذوا يصفقون· وتقدَّم البطل نحو سلمان البندقى ونحّاه عن جانبه وقال : أنا عبد القادر ، ودفع المسدس الرصاص بقوة فاصطدم مرة وأخرى وثالثة بهدفه فأحدث الفرقعات اللازمة· وحتى يدارى سلمان البندقى خيبته ، احتضنه وهو يقول : هل من جديد ؟

ولمّا لم يتقدم أحد المشاهدين· انتقل إلى العرض الثانى· وأخذ يحمل الأثقال·· عشرة كيلو جرامات بيد واحدة·· عشرين كيلو جراماً بيد واحدة· ثلاثين· وفى كل مرة يتحدى إلى أن بلغ المائة فحملها بيديه· ثم مائة وخمسين ، وفى كل مرة يتحدى· والرجل ذو العضلات ينظر إليه بسخرية· ثم نزل

ليحمل بيد واحدة المائة والخمسين. وهـــو يقول : هل من منافس ؟

وحتى يداري سلمان البندقى خيبته فى نفسه. قال بصوت جهورى أجش : فوق كل ذى علم عليم. وفوق كل قادر قادر عليه.

وابتلع الصدمة وتحول إلى عرضه الثالث وقد انصرف الرجل البطل إلى مقعده القريب من الحلبة.. وصرخ سلمان البندقى : رجلان.. ليكتِّفانى. وأنا أفلت من الحديد. ودائماً ما يخرج رجلان لا يتغيران ولكن يغيِّران فى ملامحهما يقومان بربط سلمان البندقى بطريقة معينة لا يفلت منها أحد كما هو ظاهر. ولكن سلمان يفك قيوده بعد أن يتغلب ويتحرك حركات قوية. ثم يصرخ. هل من منافس ؟ وينطق السين شيناً علامة من علامات السخرية.. وفى هذه المرة يخرج البطل القادم ليقوم بربطه الرجلين. يميل عليه سلمان البندقى وهو يقول دون أن يسمعه المتفرجون : لم لا تعمل معنا يا أخ... ورزقك على رزقنا ؟ يقول الرجل وهو معجب بنفسه كثيرا : وهل أحتل مكانتك يا معلم ؟..

يقول سلمان البندقى :

– أنا تعبت وسأتفرغ للإدارة وتحل أنت بدلاً منى

يقول الرجل : لأجل خاطر عينيك.

وكانت لوزة قد فرغت من حمل كيسها إلى حجرة والديها وأودعته فى خزانة حديدية صغيرة ، وذهبت داخل الخيمة الكبيرة لتشاهد هذا المتحدى الجديد. ودخل الرجلان يربطانه ويوثقان يديه وقدميه بشدة. وقد أوصاهما سلمان البندقى أن يوثقاه وثاقاً لا يفلت منه.. وكان الرجل منتفخاً وهما يوثقانه وقد برزت عضلاته حتى كادت تمزق ثيابه. وحينما انتهيا من وثاقه.. أخذ ينكمش ينكمش ثم فلتت يد من يديه من الوثاق وحل العقد جميعها التى دارت حول جسده.. وصفق له الجمهور تصفيقاً متواصلاً. ومرة أخرى أخذه سلمان البندقى فى أحضانه وهنأه وسط تصفيق متواصل من الجمهور.

وفى الخيمة مساءً . كانت لوزة تعاتب أباها قائلة :

- كل يوم تأتى بعامل جديد معنا.. من أين يمكنك أن تدفع لهم الاجور؟

- أنا لم أتفق على أجور يا لوزة.. أنا قلت له رزقنا على رزقك.. بمعنى أننى سوف أقسم معه إيراد السيرك.

- وماذا يبقى لنا يا والدى ؟

- أنا لم أعد صغيراً يا لوزة ، وعافيتى ضعفت. أنا أشعر بنفسى ، وأنت لا تشعرين بها. واذا لم تحلّ دماء جديدة فى السيرك فسوف أقفل أبوابه.

- على العموم أنت حر فى السيرك يا أبى. أنا فقط أنبهك.

كانت أمها جالسة تعد هريسة وبسبوسة الغد وقد أشعلت الغاز مما أحدث صوتاً عاليا.

حينما تركت الخيمة متجهة إلى خيمتها. رأت من بعيد البطل الجديد جالساً مع عبد الحفيظ وزيد يتسامرون ، ودخلت خيمتها وخلعت ثياب العمل وارتدت ثياب النوم وأطفأت لمبة الجاز القريبة منها ، وقامت تتحسس ما تحت وسادتها : سكين حادة دائماً تضعه تحت وسادتها حتى تنقذ نفسها من أوضاع خارجة لو تعرضت إليها. لم تناد سرحان حتى ينام بجانبها؛ ذلك لأنها تعرفأ انه يستذكر على نور المصباح الغازى الكبير فى الخارج. وتعرف أن ما بلغه من مستوى دراسى هو من جهده الخاص لا أحد يذكره به ولا يدفعه إليه. ولد نشط طرح فيه اللهالبركة وهى تدعو له ليلاً ونهاراً علناً وسراً .

وكان زيد قد بدأ يسترجع مع سرحان مادة الكيمياء وتوقف عن الاسترجاع وهو يقول :

- أين تعلمتَ الكيمياء يا عم زيد ؟

قال : أقول لك ولا تحكى لأحد.

يقول سرحان بإيماءة من رأسه : نعم

- كنت أعمل فى معمل كيميائى فى بلدنا .

- وما هو بلدكم يا عم زيد ؟

- بلد متطرف . . . لا تعرفه .

- ولم تركته ؟

- أشياء وأشياء يا ولدى . انتبه أنت إلى مذاكراتك لا تشغل بالك بأمور الناس .

يقول سرحان والبشر يملأ وجهه :

- أما وقد رويتُ لك كيف يُخْلَق الكون فلا بد أن تروى لى كيف خُلِقْتَ ؟ يضحك زيد ويقول : وهل طلبت منك شيئا من ذلك ؟ يقول سرحان مستدرجا : ألم أقص عليك كيف أن الموجات وهى انكماش وتمدد في المكان ذلك المسمى السماء . . أدى إنى طاقات ثم مواد ثم عناصر كيمائية ومخلوطة . ثم النبات ثم الحيوان فالإنسان .

قال زيد : إذاً فأنت من المؤمنين بنظرية التطور؟ .

قال سرحان : لا . . إن لى نظرية جديدة فى هـذا الموضوع .

قال زيد : ماشاء الله . ما هى ؟ .

قال سرحان : الفكرة إن المادة نواة وكهارب واذا ما اختلف عدد الكهارب ، اختلف نوع المادة . صح . . ؟

قال زيد : صح ٠

قال سرحان : وكيف عرفت ؟

قال زيد : ألم أسمِّع لك الطبيعة والكيمياء وعرفت ذلك منها ؟

قال سرحان : نعم ٠٠ نعم ٠٠ نسيتُ ( ثم استطرد ) وهكذا الخلية الحية فيها شفرة معينة كشفرة المادة ٠٠ فإذا ما تكونت خلية بشفرة معينة أدت إلى كائن معين ٠٠ وقد كان وقت نشوء الأرض الأول كل الظروف مهيئة لتكوين أنواع متعددة من المواد والمواد الكيميائية والمواد المخلوطة ، كما كانت كل الظروف أيضا مساعدة على تشكيل أنواع متعددة من الخلايا التى أخذت تنقسم فتكونت النباتات وتكوَّن الحيوان ٠تكوَّن الإنسان٠ ونظراً لأن بعض الخلايا متشابهة كان القرد قريبا من الإنسان فظن الانسان أنه جده ،وأنه انحدر منه ٠ ولكنه خلية منفصلة تماما عن خلية الإنسان كلاهما أخذ ينقسم ويتشكل طبقاً للشفرة الموجودة فى الخلية ، فأحدث الإنقسام قردا ، وأحدث الانقسام الآخر إنسانا ٠

يعارضه زيد وهو يسأل : ولم توقف ذلك الآن ولم يعد القرد ينشأ من خلية تتكون خارج رحم القردة ، والإنسان ينشأ من خلية تتكون خارج رحم الأم؟ أو أى كائن آخر لم يعد يتخلق بالطريقة التى تراها ولكن بالطريقة التى تراها الآن٠؟

أجاب سرحان :لأن الظروف المناخية التى كانت ساعدت على ذلك منذ مليون سنة أو أكثر لم تعد موجودة الآن.

يتدخل عبد الحفيظ قائلاً : أنت يا ولد بينك وبين الكفر خطوة.

تساءل سرحان : لم يا عم عبد الحفيظ!؟

قال عبد الحفيظ : ألا تعرف أن الله تعالى قال في كتابه الكريم : ﴿ واذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال إنى أعلم ما لا تعلمون * وعلَّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال : أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون * وإذ قلنا للملائكة اسجدو يآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين * وقلنا لآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فأذلها الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين.. ' صدق الله العظيم ﴾ .

وفى نفس سورة البقرة تجد قول الله تعالى : ﴿ بديع السموات والأرض إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾ .

قال سرحان : صدقتَ ولكن الله تعالى لم يقل لنا فى أى صورة هبط آدم وحواء ؛ هل كانا نطفة أم طفلين أم شابين أم كهلين ؟ الأقرب إلى المنطق فى هذه الدنيا أنهما كانا نطفة .

ويلتفت سرحان مستنجدا بزيد ويتساءل :

- هل أخرِّف حقا ؟

قال زيد فى هدوء : أنت تقول أفكاراً لم نسمع بها من قبل يجب أن تثبت علمياً . كأنك تريد إن تقول إن الطبيعة هى التى خلقت الإنسان...

قاطعه سرحان قائلا : أبداً لم أقل ذلك. إنما أقول إن الله وضع النظام وبثه فى الأشياء. ومن منطق هذا النظام أن يتكون الإنسان ويعيش على الأرض مثلما تتكون باقى الأشياء والموجودات والحيوان والنبات.

قال زيد: الموضوع شائك فلا تشغل بالك به.

يتساءل سرحان: ما يؤكد كلامى أن كل شىء حدث فى الماضى ولا سبيل إلى تكراره فى المستقبل هو هذه التساؤلات.. ولماذا لم يعد يتكون الآن الحديد والنحاس والذهب والبترول وحتى أنواع جديدة من المواد ؟ ولماذا لم تعد تتكون الآن نباتات جديدة أو الحيوان.. ويجيبه قائلا :

- ذلك لأن هذا التكوين حدث فى مرحلة ونحن الآن فى مرحلة جديدة.

لا يعقل بعد أن تبنى بيتا وتبتاع أثاثه وترتبه وتبدأ فى التصرف فيه أن تأتى وتقول : لم لا أبتاع أثاثا جديدا. أين ستضعه وأين سيذهب القديم ؟ . هذه الأرض التى نعيش عليها مخطط لها أن تعيش فترة من الزمن سيكون فيها مواد معينة معروفة فى الحجم والوزن. وسيكون فيها إشعاعات وطاقات معينة. وسيكون عليها حيوان ونبات وإنسان معروف مقدماً عدد أفراده ، فلا يتُصور أن يجدَّ جديد عليها إلا منها ، ولا يختفى قديم إلا منها.

وتركه زيد ومضى. ووقف سرحان مغتاظا وهو يقول: لا أحد يقتنع ولن يقتنع أحد.

* * *

وفى الفراش ، تُهاجم زيداً التساؤلات قوية: ما هذه الحياة التى ارتضيتها ؟ أبعد أن تكون رجلا مهندماً ثرياً مرموقاً تتحول إلي صعلوك متشرد؟ وماذا جنيت؟.. لا شيء. أتظن أنك إذا غرقتَ فى الفقر وهم ظلوا ينعمون بالثراء الذى تركته أن ذلك يرفعك إلى عنان السماء؟.. ماذا ستستفيد من هذه الحياة الضالة؟.. لستَ نبياً حتى يقال إنك تتشرد بعيداً عن

مطارديك؟ . . إنك يمكنك أن تسحقهم جميعاً بطزدة واحدة من بيتك ، ولكنك آثرت أن تنفىَ نفسك وتتألم وتتعذب دون سبب واضح! . . ويقول لنفسه إننى سعيد الآن لا زوجة سليطة اللسان ولا أولاد سيئو التصرف . . أنا هانىء. أتظن أنك بوذا قد ترك ملعقته الذهب ونزل إلى المساكين ليعظهم. كان بوذا له رسالة أما أنت فما هى رسالتك؟ . . بدلاً من أن تقوم بزوجتك وأولادك تعيش هذه الحياة العاطلة من كل معانى الحياة. ما الفرق بينك وبين الكلب الأجرب الشارد؟ . . أمعقول أننى تركت قبيحة اللسان لأقابل فى نفسى قبيحاً آخر . . أعتقد أنك لو رفعت وسموتَ بهذه الحياة التى تحياها لكان لحياتك معنى آخر. أم أنك تظنها شطارة أن تنتقل من مدرس محترم إلى حاو لا احترام له . . يتخذه الناس هزواً ؟ ألا بئس ما فعلت.

يتقلب فى فراشه ، والقلق ينهشه ، والأرق يلعب به كدمية. جمرة متقدة يخفيها الظلام . عواطف متضاربة تلعب به هى الأخرى. وانفعالات غريبة لم يعهدها من قبل. لقد أسقط نفسه فى شَرَك كان أحْرَى به ألاّ يسقط فيه. لكن لتتحمل يا زيدان. فالوقت كفيل بقتل كل ذلك. . لن تعود إلى الحنين إلى الاولاد وستقوى الكراهية يوماً بعد يوم ولن تفكر فى الجنس والمرأة التى كانت تعطيه إياك بِشُحٍّ .

لتعتبر أن الشوق قد قُتِلَ فى صدرك ، وأن المشيعين قد

شيعوا جنازته دون أن يعلموا أنه مقتول. أنت الآن إنسان آخر ليس لك ماضى، قطعتَه قطعاً مبرما. ولكن لا يجوز أن تعيش هذه الدنيا القذرة. تبدو كما لو كنتَ فى حظيرة خنازير. عليك أن تبرأ منها.. المال معك ولست مثل عبد الحفيظ لا شهادة له، أو لعل له شهادة لكن لا تساعده على أن يشق الطريق. لتكن زيدان الجديد. لكن هذا المال الذى أودعته البنك ليس كافياً. لتعمل بشهادتك ولو فى مدرسة خاصة. لكن ليس معى أية مستندات. كل المستندات فى القرية، ولو رجعتُ لأخذها لتكاتفَ الناس علىّ يدفعوننى للبقاء، وقد ألين وأبقى بعد أن ذقتُ مرارة التشرد.

* * *

## (٧)

تراه يحوم حول خيمتها، فلاتكترث بالأمر. إنها قادرة على كبح جماحه فى الوقت اللازم. ذلك المغرور نبيل فخرى، البطل الجديد للفرقة، يحاول أن يحادثها فَتُعرض عنه. أمعقولة هذه الحياة؟ تحاول أن تأخذ وتعطى فى الكلام مع زيد، لكنه يميل إلى الاختصار. وتحاول أن تشح فى الكلام مع نبيل، لكنه يجنح إلى الإطناب. إنها ترفض حياة السيرك هذه رفضاً باتاً، لكنها لا تتمكن أن تفلت منها. كانت تأمل أن ينتشلها زوجها منها، لكنه ظهر على حقيقته؛ نصاب متمكن. سرق قلبَها وهرب إلى

العراق ، وترك لها ذلك الولد النبيه تكافح لأجله . ولم يعلّمها أبوها وتركها بلا صناعة ، إلاحرفة قطع التذاكر . . وهل هذه مهنة يمكن أن ترتزق منها ؟ لو أخذت ولدها وهربت به فهل تجد سينما مثلا تسمح لها بقطع التذاكر ؟ .إنها حتى لا تعرف الحساب جيداً ،لها عمل غيره أن تكون امرأة. وها هى سوقها تبور ويهجرها زوجُها إلى أجل غير مسمّى .

خرجت فى ذات صباح وجهها مكفهر. وقد بلغ يأسها من تغيير حياتها الحلقومَ ، وطفقت ترتِّب فَرْشَةَ الإفطار لأعضاء السيرك ، ولم يكن من بينهم نبيل فخرى. كان يأتى كل يوم في المساء على دراجة بخارية نارية الطبع. يبدو أنه ملىء مالياً ، ولكن هوى أن يستعرض عضلاته وقدرات قوته أمام الجماهير. وبادرها أبوها حينما جلست:

- ما لك حاملة هكذا طاجن ستك؟

قالت بيأس:

- أبداً . . ليس هناك شىء.

قال عبد الحفيظ وهو يجلس إلى المائدة الثانية غير مائدة المعلم :

- يبدو أنها غير راضية عن حياتها يا معلم.

سأل المعلم البندقى قائلا:

- ماذا تريدنى أن أفعل ؟ أن اغلق السيرك؟

قالت مكفهرة:

- وما المانع؟.

ـــ وماذا أقلبه؟ وماذا أعمل؟

يتدخل زيد ، وكان دائماً من المقربين إلى المعلم وله شرف حضور فرشةالطعام على مائدته:

- لم لا تقلبها مقهى يا معلم ؟ فيها مذياع ومكان لأكل الطعام.. مطعم أعنى.. سوف يكون دخلها أكثر. خاصة أنها تقع على ملتقى عدد من القرى مع طريق المركز.

تحركت عينا لوزة متلألئة ، فخورة بهذه الفكرة. يلقى المعلم حجر العثرة فى طريقها فيقول.

- ومن أين المال؟... ألا يجب أن أسوِّر هذه الأرض وأن أبنى المقهى والمطعم.. وأقيم شقة لنا وأخرى للعاملين معى ؟ ثم..

فيقاطعه زيد قائلا :

- يمكن أن تقترض من بنك يا معلم؟

يضحك الرجل ويقول:

- وكيف أثبت أن هذه الأرض أرضى يا شاطر؟

يتدخل عبد الحفيظ قائلا :

- أنا أثبت لك ذلك.

- كيف يا جدع؟

يقول عبد الحفيظ وهو يبتسم وعيناه تفخران بنفسه:

- سوف تقيم علىَّ دعوى فى المحكمة ألا أتعرّض لك لانك اكتسبت الأرض بالتقادم.. أنا صاحب الأرض وأقف أمام المحكمة أدَّعى أن هذه الارض ملكى وملك أجدادى أو العكس ، أطالبك أنا بالأرض لانهـا ملكى وأنت تدَّعى أنك تمتلكها بالتقادم . سيقول لى القاضى قدِّم مستندات ، فأتلكأ ، وتثبت أنت بشهادة الشهود وبما تدفعه من رسوم للبلدية والمعاملات المختلفة على هذه الأرض أنه مضى عليك أكثرمن خمس عشرة سنة تظهر بصورة المالك على هذه الأرض . . . وفى النهاية يحكم القاضى وأنا لم أتقدم بمستندات أن الأرض ملك السيد عبد الحفيظ.

تروق الفكرة فى عين المعلم ، لكنه يبادر ذلك بقوله:

- وإذا حكمت بأن الأرض ملكك يا شاطر ؟

يقول عبد الحفيظ:

- كُلّى لك يا معلم.

- تُشْكَر يا جميل.

- فى هذه الساعة سوف أهبها للسيدة لوزة سلمان البندقى.. نَوّارة السيرك.

قالت لوزة ضاحكة : فيك الخير يا عم عبد الحفيظ.

ويضيف قائلا: مقابل أن يتم قرانى عليها على سنةالله ورسوله.

قالت لوزة منتفضة وقد تقمصت دور الشريرة : اخرس ..عَمَى فى عينيك.. يا ناقص.. أنا امرأة متزوجة..

يقهقه عبد الحفيظ وهو يقول:

- سأحرمك منها وأعطيها لحبيب القلب سرحان ما بين الغيط والبيت.

ينهض سرحان وهو يقول : شكراً ياعم عبد الحفيظ. أنا ذاهب إلى المدرسة. وأؤيد كلام عم عبد الحفيظ بالثلُث.

يجلس سلمان البندقى بعد المناقشة ، يتناول الشاى وقد بدا عليه التفكير العميق. فتحوا له أبواب جنة مكللة بأكاليل النصر فكيف يرفض الدخول إليها ظافراً بها ؟ وعبد الحفيظ كان قد أعد النارجيلة يشد منها أنفاساً ووجهه الممصوص يتأمل سلمان ويتفحصه ، وبينما لوزه تلملم بقايا الجبن والعسل والبيض

وأكواب الشاى المختلفة وبقايا قطع الخبز. وأمها توجهت لإعداد واستكمال صوانى البسبوسة والهريسة وبلح الشام ولقمة القاضى ، تنّوع فى معروضاتها بغيةَ جذب أكبر عدد من الرجال والأطفال والنساء. وأخذت لوزة تفكر فى هذا المشروع الجديد الرائع. سوف يقلب حياتهم ويغيِّر منها ، سينتقلون من مستوى سيرك فقير إلى مستوى مطعم ومقهى فاخرين . وما هذا الناقص الذى يريد أن يتزوجنى ؟ ألا يعرف أننى زوج لرجل هارب لم يعد بعد؟.. إنه يداعبك يا لوزة..إنه مثل أبيك وفى سن أبيك .. ألم يداعبك هذه المداعبات البريئة من قبل؟.. فكرة القرض التى أوصى بها زيد رائعة. ولسوف يسدده إيراد المطعم والمقهى.. ماذا لو أفلسنا؟ أبصقى من فمك كل هذه الأفكار ، فلم نسمع أن مطعماً أفلس، أو حتى مقهى قفلت أبوابه خاصة فى مكان هو ملتقى كل الطرق .

وجاء الليل ولم تشاهد أباها يتحرك ليذهب إلى مكتب محامى يستشيره. وجاء نبيل فخرى يلقىُ بدعاباته السخيفة أمام شباك التذاكر.. كيف حال الجميل اليوم؟ ما لك متعبة هذا اليوم يا حلوة ؟..

عيب اسكت. انصرف. أستستمرثقيلاً علينا هكذا؟.. ياولد امش..

أنا ماشى يا جميل وراجع لك..

إنه لا يتورع أبداً عن مغازلتها· ولا يخفف من كلماته الخارجـــة فى بعض الأحيان ، جسم صلد لا تحرِّك فيه الشتائم شيئا·

غير أنها شاهدت أباها يشدُّ عبد الحفيظ من يده والأولاد يصرخون يريدون أن يتفرجوا· · فهزهم الأبُ قائلاً : ليس هناك صندوق للدنيا هذا اليوم· كان قد ارتدى جلباباً فضفاضاً نظيفاً· وجرَّ عبد الحفيظ جراً وهو يسأله : أين سنذهب يا معلم؟

أجاب : سنبحث لنا عن محام لنستشيره فى ذلك الوضع وفيما اقترحته من أفكار ·

كان زيد جالساً بجانب سرحان ، يراجع معه دروس الكيمياء ، وابتدره قائلا: قم أنت الآخر·

* * *

لم تكن سيارات الأجرة تتوقف على الطريق ، غير أنهم انتظروا فترةً طويلة حتى استقلوا واحدة· ويبدو أن أعداد السيارات تقل فى الفترة المسائية·ودفع سلمان البندقى أجرة الأنفار الثلاثة وهو يقول : لعل فى ذلك المشوار خيراً·

وفى مكتب المحامى قال لهم الأستاذ عبد الجواد حسنى:

– القضية مضمونة مائة فى المائة ولا تخش شيئاً يا معلم لكن أتعابى فيها كبيرة·

- كم تكون؟

- خمسمائة جنيه ·

- ياه · · ومن أين ؟

تَدَخَّل زيد فى الأمر :

- لا تخشَ شيئاً يا معلم - سندبر المبلغ · ·

واستطرد المحامى قائلا :

- مائتان فى البداية · · · وثلثمائة عند الحكم بأن الأرض ملكك بإذن الله ·

يشوح المعلم بيده وهو يقول :

- هذا كثير ·

يتدخل زيد قائلا :

- يا معلم · تتدبر · ·

- من أين يا زيد؟

- لا تخف من شيء ·

يقول المحامى : هل نبدأ فى الإجراءات يا معلم ؟

يقول زيد متدخلا : ابدأ يا استاذ · · سيكون المبلغ عندك فى الغد ·

ويعودون بالسيارة الأجرة · والمعلم يقول لنفسه : هذا

الرجل غريب. لا يتصرف تصرفات إنسان بائس.. إنه لا بد رجل محترم ؛ من أين له هذا المال؟..

ويقول زيد لنفسه: تسرعتَ يا زيد ، سوف تفقد بعض ما لديك من مال ولن يعود إليك . أمعقول أن تستمر تبعثر فى أموالك ذات اليمين وذات الشمال.. تترك بعضها لزوجك وأولادك وتهرب. وتعطى بعضها للمعلم سلمان البندقى ؟ .إنه حتى لم يقرر لك راتبا رغم مرور عدد من الأيام ، لم يفكر أن يتفق معك رغم أنه اتفق مع نبيل فخرى المصارع ، أنت مجنون بلا شك..

وقال عبد الحفيظ : أيكون هذا الرجل ابن باشا مثلى وأنا لا أدرى. ولكن أبوه ترك له مالاً عدداً ، أما أنت فلم يترك لك وسلَّمك للطوى. أنت لم تحاول أن تنتهز فرصة وجودك فى بيته.. حيث كان المال وفيراً والعيش رغداً .. واستَسلمتَ لعقلك الزنخ. لم تحركه ولم تبسطه. وأخذت تقرأ كتباً لم تتقرر عليك. يبدو أن الخطر كله كان كامناً منذ البداية.. إن موت أمى فى سن مبكرة جعل القيادة فى بيتنا تفلت. استسلم الوالد للعربدة وركنت أنا وأخوتى للكسل.

وتشجع المعلم وسأل ، وهم محشورون حشراً فى سيارة الاجرة : ومن أين ستأتى بالمال يا زيد؟..

قال زيد بهدوء : هذا ادخار العمر يا معلم ، وسوف

أمدك به فأنت استضفتنى وكنتُ شاردا. وأنت آويتنى وكنتُ بلا مأوى. وأنت أسندتَ لى عملاً وكنتُ لا عمل لى. فكيف لا أساندك فى وقت محنة. أبعدها الله عنك.. يحاول المعلم أن يربت كتف زيد لكن عدم قدرته على الحركة بسبب الزحام جعله يقول: نعْمَ الرجال أنت . واستسلم للقالب الذى وضعه فيه الزحام كتمثال صُبَّ حيًا .

يقول زيد: غداً تذهب إلى المحامى وتحمل له النقود.

يسأل عبد الحفيظ : أهى معك فى الخيمة ؟ ..

يقول: لا وضعتها فى أحد البنوك فى المدينة..

يعلق عبد الحفيظ ساخراً : يا ناصح.

وكان سرحان لا يزال يستذكر، غير أن الأولاد الصغار يأسوا من ظهور عم عبد الحفيظ ثانية وانصرفوا. ونهض سرحان يستقبلهم ويسأل : ماذا فعلتم يا جدى؟ .. وابتدره.. وهو يقرص خده: فعلنا كل خير يا بنى.

يشد زيداً من يده ويقول: تعال لأستذكر معك الكيمياء... يلقى زيدٌ بجسده على الحشائش قريباً من شجرة الجميز. بينما يجلس عبد الحفيظ متثاقلا بالقرب منها. وينفلت المعلم البندقى إلى داخل الخيمة.. أما نبيل فخرى فيبدو أنه قد ركب دراجته البخارية النارية بعد أداء لعبه ومضى.

وبعد أن ينتهى زيد من استذكار الكيمياء مع سرحان يتنهد قائلا:

- بعد أن تأكدنا أن بداية الكون لا بد أن تكون بداية خالصة . . يقاطعه قائلا:

- أستعود لهذا الموضوع من جديد ؟ . ألم تنته إلى أنها أزلية مطلقة لامكان ولا زمان لها. ولا مثيل لها. وهى قوة تشكل ولا تتشكل أى تخلق ولا تخلق . .

يقول سرحان ضاحكاً :

- أنت يا عم زيد أصبحتَ معى على الخط .

- أتظننى جاهلا مثلك يا سرحان ؟

- أنا جاهل يا عم زيد ؟ ! سامحك الله .

تدخل عبد الحفيظ ليسأله : ماذا تريد أن تقول ؟

يقول سرحان : أريد أن أقول إن بداية الكون كاملة ولكن كمالها ثابت ساكن . لذلك شكلت هذا الكون لتصنع كائناً متغيراً ولكن يتجه إلي الكمال .

قال عبد الحفيظ : أنظر . . . إنك بدأت تجدف . . وتخرف . . لقد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ما خلقتُ الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ .

ضحك سرحان وهو يقول:

- وما هى العبادة يا عم عبد الحفيظ ؟ . . هل هى الصلاة ؟ . العبادة هي السعى إلى الكمال لأنك اذا أردت أن تتوجه إلى الله بكاملك فأنت تسمع أوامره ونواهيه وتتبعها وتحاول

أن تتصرف فى حياتك بشكل يرضيه . وكلما اتبعتَ التعليمات والإرشادات الإلهية اقتربتَ من الكمال . . لقد أمِرنا أن نقرأ ، فلم نقرأ. فهل بهذه الطريقة نكتمل؟ . . أمِرنا أن نتفكر فى خلق السموات والأرض فلم نتفكر؟ . . أنت الآن تصادر حقى فى التفكير. العبادة هى أن نكون آلهة فى تصرفاتنا ولو أن هذا بعيد - لكن الله سبحانه وتعالى وضع فينا بذرة السموّ . . ونحن - أغلبنا نسعى إلى السموّ. وحين نبلغه فسوف نكون قد حققنا الكامل المتحرك الذى يهدف الله لخلقه . . انظر إلى الجماد إنه كامل تماماً نظام رائع لكنه ساكن. انظر إلى الحيوان والنبات؛ نظام رائع متحرك . أمّا الانسان فهو مخلوق ناقص تضمَّن الغرائز والشهوات وهو فى صراع دائم بين الخير والشر . . وما عليه إلا أن ينتصر . .

وانتصاره على الشهوة والشر والغريزة هو الوصول إلى الكمال.

يقول زيد وقد أخذ يفكر فى أفكار سرحان :

- أنت تقصد إذن أن الله قد خلق الدنيا لهدف معين . . وفى طريق هذا الهدف . . تسير المخلوقات:

يتدخل عبد الحفيظ قبل أن ينطق سرحان بالإجابة:

- أنا أشك فى كلامك يا سرحان يابنى ·· أقلع عن هذه الأفكار ·· فسوف تدخلك نارَ جهنم ·

- يا عم عبد الحفيظ أنا مدرك الكلام تماماً وأعتقد أنه لا يختلف عن الدين · واللهُ خلق الكونَ ولم يخلقه عبثاً ما خلقته باطلاً سبحانك ·· خلقه لتحقيق هدف معين ، ولولا أن الإنسان مخيَّر وليس مسيراً لكان الهدف قد تحقق من زمن بعيد ، ولكن الله يعرف أن هذا الهدف سوف يتحقق ولكن فى المدى البعيد لأنه محيط بكل شئ .

قال عبد الحفيظ : طيب يا بنى . . إنى منتظر .

قال سرحان : الهدف لن يتحقق فى حياتك وحياتى ·· هناك وقت طويل حتى يتحقق . . ولو أن هذا الوقت قصير بالنسبة لرب العلمين .

* * *

## (٨)

انتشر خبر القضية . وعرف به نبيل فخرى . وكان يعرف بمواعيد القضية والتأجيلات التى تحدث لها . . الجلسة الأولى لتقديم المستندات والجلسة الثانية لتقديم مذكرات . . وكان الأستاذ

عبد الجواد حسنى قد جعل محامياً آخر من مكتبه ينضم إلى صف عبد الحفيظ المدَّعى ضد المعلم البندقى المدعى عليه . حتى تشتعل المرافعات اشتعالاً٠٠ وتظهر القضية كأنها غير مدبرة٠٠ وتناول الدفعة الاولى من الأتعاب كاملة ٠ وأعطى المعلم البندقى إيصالاً بها٠ وضم المعلم البندقى زيد إليه ممتناً .

وفى يوم التحقيق غادر السيرك فى الصباح المعلم البندقى وعبد الحفيظ وزيد وبعض عمال السيرك ليشهدوا أمام القاضى أن المعلم مارس حق الملكية على الارض أكثر من عشرين عاماً وأن عبد الحفيظ ليس مالكاً للأرض ولم يمارس عليها شيئا٠ وذهب سرحان إلى مدرسته٠ وتحركت معهم عجيبة لتشترى بعض حاجيات البسبوسة من المدينة٠

وأخذت لوزة على عاتقها نظافة السيرك حتى لا يأتى المشاهدون فى المساء فيشعروا أنهم فى مزبلة وليس فى سيرك٠٠ وحينما دخلت خيمتها فى الساعة الواحدة بعد الظهر لترتيبها سمعتْ صوتَ الدّراجة البخارية يمر بالسيرك ثم اختفى صوت النيران المشتعلة فيها٠ لم تحسب أنه نبيل فخرى جاء فى غير موعده٠٠ ولكن حسبتْ أنها دراجة عادية مرت بالسيرك ثم اختفى صوتها بابتعادها عنه٠٠

وحانت منها التفاتة إلى خارج الخيمة فرأته يتصدر الباب بقامته المديدة وعضلاته البارزة٠

- قالت بزهق : ماذا جاء بك فى الصباح؟

قال بشبق :

- أريدكِ.

ولم تلاحظ عينيه اللتين تتقدان بالشهوة ،فأجابت باستهانه:

- ماذا تريد منى؟

قال مبتسما: :

- أريد أن أتكلم معك . .

قالت غاضبة : وأنا لا أريد أن أتكلم معك.

أجاب بليونة:

- يا جميل رِقّ. . . لا داعى للغضب.

غضبت وقالت بصوت صارخ:

- أخرج خارج الخيمة. . انصرف.

غير أنه هاجمها ، وهى تحاول التملص منه : أنا أريدك فى الحلال يا عبيطة.

قالت بعنف وهى تشعر كأنها كتكوت صغير فى قبضة طفـــل أهوج : اتركنى. . أنا امرأة متزوجة. . قال بسخرية : أين زوجك هذا ؟. أنا لاأرى أحدا. .

قالت وشرار الغضب تظهر فى عينيها : اتركنى ·· والاصوت وجمعّت الناس حولك.

قال وكأنما هو متأكد من خطواته : هذه هى الفرصة التى أنتظرها منذ شهور عديدة ·· والآن حانت هذه الفرصة. اصرخى كما تشائين. لن تفلتى منى اليوم. ألا تحلمين بالرجل أبدا ·· أنا أحلم بك ··

تراخت فى يديه فشعر أنها كأنما ذابت بين يديه وهوت على فراشها وقد أغمضت عينيها وهو يضمها إليه ·· فهوى معها ·· وأخيرا استسلمت الملعونة ·· لأذوق ذلك الجسد ولأفعل ما أريد. رقدت على الفراش واستسلمت ليديه العابثتين وهو يحاول أن يخلع ثيابه وفى نفس الوقت يخلع ثيابها حتى تعرّى تماماً أمامها ·· وكلما حاولت أن تقاوم ضغط عليها حتى ترقد مستسلمة ·· وامتدت يدها تحت الفراش لتسحب سكينتها الحادة ·· الراقدة منذ أمد بعيد لاعمل لها ·· ودستها فى صدره الأيسر بيدها اليمنى بقوة. فشقت اللحم ونفذت إلى القلب. وصرخ وحاول أن ينهض ولكنه لم يتمكن. انسحبت من تحته والدماء تسيل من فمه المفتوح ·· وصرخت صرخة قوية ثم تبعتها صرخات ·· تجمّع الناس حول السيرك يبحثون عن مصدر الصرخات ، وهى لا تزال تولول وقد أبعدته عنها. وهو يتألم والدم لا يزال ينبجس من شفته ويسيل على عنقه وصدره ، وقد

غرقت المرتبة باللون القاتم ووقف عدد من سيارات الاجرة بها كثير من الناس ، وشاهدوا امرأة ممزقة الثياب ورجل حاول أن يغتصبها فى وضح النهار · غير أنها ثأرت منه وقتلته ·

وأسرع أحد سائقى الأجرة لينادى الشرطة ·

وجاء نقيب المركز ومعه عدد من العساكر ·

وقال لها: ماذا حدث؟ · · وكانت لوزة قد تكوَّرَتْ تصرخ وتشدُّ فى شعرها حتى نفش كشعر المجنونة · والدموع تَسِحّ من عينيها مدراراً ، ونبيل فخرى قد أسلم الروح وقد تجرد من ثيابه الداخلية والخارجية أمام الناس وأمام الشرطة فظهر فى وضع مخز ·

هدأت حينما عنَّفها النقيب قالت:

- هجم علىّ · · يريد أن يغتصبنى · · فقتلته ·

- هل تعرفينه؟

- نعم · · يعمل فى السيرك مع أبى ·

- هل حاول من قبل؟

- لا · · · يا بك · · كان فقط يغازلنى وكنت أصده وأعنفه ·

ـ وكيف قتلته ٠٠؟

ـ كنت أضع دائماً سكيناً تحت الفراش حتى إذا دخل لص أمنعه من السرقة ٠٠ سددت له السكين فى جنبه بعد أن ألقى بى إلى الفراش٠

أبلغ الضابط وكيل النائب العام فجاء مسرعا وبدأ هو الآخر التحقيق وعاين المكان والجثة وأداة القتل٠

جاء المعلم البندقى ليجد ابنته خارجة من خيمتها٠ وجثة نبيل فخرى يحملها جنديان إلى السيارة الصندوق بعد أن أمر وكيل النائب العام بدفنها فى مقابر الصدقة بالمركز بعد إجراء الكشف عليها من جهة الطبيب الشرعى٠

وتقدم المعلم إلى النقيب قائلا:

- ماذا حدث ؟

- من أنت؟

ـ أنا أبو لوزة٠٠ تلك التى تركب السيارة٠

- وأين كنت؟

- كنا فى المحكمة٠٠ فى قضية مدنية٠

وأحاط بهما عبد الحفيظ وزيد والعمال الآخرون فى السيرك٠

أجاب النقيب: ابنتك قتلت المدعو نبيل فخرى.

قال المعلم مستغرباً: قتلته ؟. ثم تساءل مشدوهاً : لم قتلته؟

ـ تقول حاول أن يغتصبها.

* * *

لم تنم لوزة فى السيرك ذلك اليوم ، وأمر وكيل النيابة القائم بالتحقيق بحبسها على ذمة التحقيق.. وأقفل المعلم البندقى السيرك غماً وكمداً على ابنته. وولولت الأم فى ذلك اليوم وندبت حظ ابنتها. وألقت باللائمة على أبيها الذى استأجر ذلك الوحش فى سيركه. والمعلم ذاهل تتجاذبه الأفكار ويتوه فى لجة من الفكر عميقة. وكان سرحان ذاهلاً مما حدث لأمه ولا يحاول أن يتكلم بينما قال عبد الحفيظ : ما هذا الحظ؟ كدنا نكسب القضية اليوم ، وظهرت تباشير مستقبل مشرق ، ثم يأتى ذلك الغم.

وقال زيد. لن يحدث لها مكروه سوف تبرئها المحكمة. كانت ثقته ببراءتها لا تُناقَش ، وكان يرى أنها إجراءات قانونية ستنتهى بالبراءة .

وُضعت لوزة فى السجن الاحتياطى بالمركز.. كانت ذاهلة لا تصدق أنها قتلت انسانا.. تشعر بالفخر تارة أنها سفكت دمه وتشعر بالذنب تارة بأنها ارتكبت جريمة. لكنها دفعت اليها

دفعاً. وتحولت لوزة إلى القضاء على أساس أنها تجاوزت حق الدفاع الشرعى. كان وكيل النيابة متأكدا من براءتها لكن لم يكن ليصدر قراره بمفرده لذلك أحالها إلى القضاء ليقول كلمته فيها.

وكان قد ذهب المعلم البندقى وزيد إلى الأستاذ عبد الجواد حسنى المحامى، واخذاه إلى وكيل النيابة للدفاع عن لوزة ، وكان لا يزال وكيل النيابة يحقق معها ، وعيناها منتفختان من كثرة الدموع ، حتى صارت فى لون الدم.

وسألها وكيل النيابة مرة أخرى:

- هل كنت تُبيِّتِينَ النية على قتله؟

قالت لوزة : كيف يكون ذلك وأنا لا أعرف أنه قادم؟ لقد كان يأتى فى المساء لتقديم ألعابه.

- إذن ما الذى جعلك تحرزين السكين تحت فراشك؟

- كنت أضعُها منذ زمن بعيد حتى قبل أن نستخدمه فى السيرك لحماية نفسى وابنى الذى يبيت معى فى نفس الخيمة .

- وأين كان ابنك؟

- كان فى المدرسة ، وأبى وبقية العمال فى المحكمة.

- هل عرف المجنى عليه ذلك؟

- ربما . . .

- ولماذا قتلته؟

أنا لم أقصد أن أقتله . . كنت أقصد أن أحول بينه وبين اغتصابى . . كنت أريد أن أجرحه فينشغل بجرحه عنى .

ودخل الأستاذ عبد الجواد حسنى يعلن أنه حاضر عن المتهمة . . لقد قرر أمام وكيل النيابة أن حالة لوزة هى حالة الدفاع الشرعى عن النفس والشرف .

وأكد له وكيل النيابة أنه مقتنع ولكن لا بد من تحويلها إلى القضاء لأنه يعتبر أن ذلك تجاوز لحق الدفاع الشرعى . وقال المحامى متسائلا: وكيف كان عليها أن تدافع عن نفسها إزاء هذا الوحش الجاسر . لعلك شاهدت جسده المفتول وعضلاته القوية .

وفى الجلسة الأولى تمكن الاستاذ عبد الجواد حسنى من استصدار حكم البراءةلصالح لوزة . وانهمرت دموعها ، وزغردت أمها فى المحكمة . . بينما ينادى الحاجب على القضية الثانية . . ويمنع الحراسُ عجيبة من مواصلة الزغاريد .

والغريب فى قضية مقتل نبيل فخرى أن أحداً لم يظهر ليدافع عنه؛ لا أهل سألوا عنه ، ولا أصدقاء جاءوا يشاهدون القضية ! بل إن دراجته البخارية حرزتها الشرطة ، ولم يأت

وارثُ يدَّعى حقاً فيها. بل حينما فتشوا فى محتويات ملابسه ، لم يجدوا أى بطاقة شخصية تدل عليه ، ولم يجدوا غير عشرجنيهات قد دسها فى جيب سترته كأنه شيطان زار القرية وليس معه أية مستندات تدل على شخصيته!!

* * *

## (٩)

خسر عبد الحفيظ القضية التي ادّعاها ضد سلمان البندقى.. وكاد يطير سلمان من الفرح حينما قضى القاضى أن الأرض اكتسبها سلمان البندقى بالتقادم . وحمل سلمان الحكم ليسجله فى الشهر العقارى.. وتوجه زيد إلي البنك لسحب ثلثمائة جنيه من حسابه ليدفعها إلى المحامى. وجاءوا فى المساء إلى السيرك المهجور وقالوا:

- غداً نذهب إلى بنك لاتخاذ إجراءت القرض.

وفرشت لوزة الحصيرة ليأكلوا عليها العشاء. وتجمع الجميع سلمـان وعجيبة وسرحان وزيد وعبد الحفيظ وانضمت اليهم لوزة ، وفى حصيرة أخرى جلس باقى العمال العاطلين عن العمل. لقد توقفوا عن العمل جميعاً حزناً على لوزة وحبسها ، وصُدّت نفسهم عن الزاد ، حتى كانوا إذا ما قرص الجوع أحدهم يزدرد لقمات يقمن أوده ، ويواصل الحزن على العزيزة. أما اليوم

فكانوا يأكلون بنهم ، وقال سرحان ضاحكا:

- كدت أمرض من شدة الجوع يا أمى.

- ولِمَ لَمْ تكن تأكل يا سرحان ؟

- ما كان لى نفس وأنتِ فى الحبس.

- الحمدُ لله . . . غُمَّةٌ و زالت.

وتدخل عبد الحفيظ متسائلا:

- رجل مجرم. .أنا لم أرتح له عندما بدأ العمل معنا.

ويقول زيد: الغريب أن أحداً لم يسأل عنه. . يبدو أنه مقطوع من شجرة. . ثم يردف : يبدو أن كل مَنْ يحط رحاله عندك يا معلم سلمان يكون مقطوعا من شجرة.

يعترض عبد الحفيظ ويقول : قد تكون أنت الرجل الغامض بسلامتك. . ومقطوع من شجرة. . لكن أنا شجرتى معروفة. . ولكنى لا أبحث عنها . . أنا الذى زهدت فيها.

قال زيد: أنا أيضا زهدت فى شجرتى مثلك يا عم عبد الحفيظ.

- قال عبد الحفيظ: لكن بصراحة. . من أنت؟

يقول زيد بسرعة: أنا مَن ضيَّع فى الأوهام عمرا٠٠

يضحكون بينما عبد الحفيظ يقول: يا ولد٠٠ يا عبد الوهاب٠ لم يحن الوقت بعد ليعرفوا سره وهو يريد ألا يذكره٠٠ لقد فلت الذكرى الخارقة٠٠ وأصبح القلق اللعين لا يطارده٠ كان قلقا بسبب خوفى على لوزة٠ ولكن الآن اطمأن بعد أن توجت رأسها البراءة، ولم يقل القاضى إنها تجاوزت حق الدفاع الشرعى فكيف سيكون موقف عصفورة أمام وحش٠٠ إنها لو جرحته لما تركها إلا جثة هامدة لم٠٠ يكن أمامها إلا القتل٠

وكان عبد الحفيظ يناقش نفسه: أقطع ذراعى أن يكون هذا الانسان هارباً من قضية٠ لكنه لا يماثل المجرمين فى تصرفاتهم٠ قال أنا من ضيع فى الأوهام عمرا٠٠ يا ابن اللئيمة٠٠ قلت لك قصة حياتى لعلك تبوح بقصة حياتك فلم تبح، فكيف أجرُّك إلى روايتها؟ .

أما البندقى فقال عنه فى مرة أيضا : ولد ابن حلال وقف معى فى وقت الشدة٠ ولا أهمية عندى لقصة حياته٠ لا تصل العلاقة بين المأجور والأجير إلى رواية أحداث الماضى٠

وحينما فرغوا من الطعام، وحملت لوزة البقايا٠ انتحى زيد جانباً تحت شجرة الجميز ورأى سرحان قادماً نحوه٠ وقال ضجرا : لم ننته بعد من الكامل يا رب يا كامل ، استغفر الله العظيم٠

بادره سرحان قائلا: أتغضب منى يا عم زيد حينما أروى لك تأملاتى ؟

قال : أتحب الجدّ ؟ وصلت الروح إلى الحلقوم. أنت يا بنى تتكلم كلاماً عالى المستوى. وما أنا إلا فلاح لا أعرف منه شيئا ولم يبلغه مستواى .

غير أن سرحان يقول: ياعم زيد أنت أعلم منى ، أنت عالم كبيرولكنك تتخفى فى زى فلاح ؟

يرتبك زيد ويحاول أن يمثل دور المغلوب على أمره: يمكن! كيف عرفت ؟ .. قال سرحان وقد شعر أنه فاز فوزا كبيراً : أدركت ذلك وأنت تحل معى مسائل الكيمياء .

هز رأسه وقال : لا هذه بسيطة. كنت أظنك قرأتَ مؤلفاتى فى علم الظواهر الطبيعية والحقيقة الإنسانية..

يندفع سرحان بسذاجة فيسأله: أحقيقة لك كتب بهذا الاسم ؟

يدَّعى زيد الرفعة اذ يلتفت إليه : ألم تقرأ هذا الكتاب؟..

قال : لا

قال زيد: إذاً لاتحاول أن تتفلفس.

ضحك وهو يقول : اسمها لا تتفلسف.

ثم أردف قائلا: ما أحاول الوصول إليه الآن صفات هذه الكائنات التى سيتمخض عنها الكون ، تلك الكائنات السامية المتحركة.

يقول زيد رداً عليه: قد يكون هو الإنسان ذاته. ألاترى أنه يتقدم تقدماً ملحوظاً فى حياته. وقد يؤدى تقدمُ فئة من البشر إلى المساعدة فى تقدم الفئات الأخرى. يزحف الإنسان نحو السمو حثيثا.

يقول سرحان : أصبحت تتجاوب معى فكرياً يا عم زيد.

يقول زيد: أعتقد أننى لا أفكر لأنى فلاح.

يقول سرحان بخجل : . . لا . . أنا لم أقل ذلك . .

ويسرح زيد قليلاً: أيجب أن اكشف له أننى لست هذا الجاهل الذى يظنّه . . لا . . لم يحن ذلك بعد. سوف يؤدى ذلك إلى أنْ يعاملونى معاملةً جديدة ويتحرّجوا فى معاملتى . . أما الآن فإنهم يعتبروننى بسيطاً مثلهم. وجاءت لوزة تحمل شاى المســـاء وتوزعــــه على القاعدين عن العمل . بينمـــا انهمك عبد الحفيظ فى رواية قصة قطر الندى وزواجها لعدد من الأطفال جاءوا وأصروا على سماعها . وسمح له البندقى أن يعمل بينما بقية أفراد السيرك عاطلون.

ووضعت أمامه كوب الشاى وهى تقول : أنا أعرف أن سرحان يضايقك بأفكاره . ولكنه .. كما يبدو .. شعر أنك الوحيد الذى تستمع له ..

أجابها قائلا : لا .. أبداً .. إنه مثل ابنى . وراح يتأملها : وجهها أصفر من شهور الحبـــس . وقد ضمر جسدها ضموراً غريبا كأنها لن تكن تأكل مثلهم . عجيب أمره ، إنه يتأملها بلا شهوة . ولا يفكر فى أن يغتصبها . مثل ذلك المجرم نبيل فخرى . كيف تلاشت حرقته نحو النســاء . أقتلتْها فيه زوجُه دون أن يدرى ؟. وهــى الأخرى ؟ كما يبدو ، أصبحت لا تميل إلى الرجال ، أقتل فيها زوجُها هذا الميل بهجره لها هذه السنوات الطويلة ؟ إنهما متناقضان ؛ هو هجر زوجه وهى هجرها زوجها ، فأصبحا متشابهين؛ هو لا ميل له للجنس ولا تختلف هى عنه فى ذلك . لكن هو هرب من زوجه وأولاده بسبب خروجهم عن الأدب . وزوجها هرب منها ومن ولدها لأنه غير قادر مادياً على الإنفاق عليها .. فرق كبير ؛ لأنه ترك عائلته ولها مورد رزقها تلك العزبة الكبيرة ، أما الأخرى فقد ترك لهما الهواء .

* * *

## ( ٩ )

أيام طويلة مضت ببطء من أجل تخليص القرض من ذلك المصرف . وأيام طويلة أسرعت فى صرف هذا القرض على بناء المقهى والمطعم وعدداً من الشقق خلف المقهى والمطعم .. وقام زيد على إدارة المقهى ، وقامت لوزه على إدارة المطعم ... وتحول بعض العاملين فى السيرك إلى عاملين فى المطعم والمقهى . بينما غادرهم البعض الآخر .. أما عبد الحفيظ فكان مستمراً فى رواية قصص التراث من خلال صندوق الدنيا ، وقد ذهب ربحها كله لجيبه غير منقوص . كان المعلم البندقى خائفاً ألا يستطيع زيدُ أن يحاسب عمال المقهى ، لكنه استغرب أن يبرع فى ذلك ، وقال له : لقد طوَّلتَ رقبتى .. سأل زيد : بسبب ماذا ؟ قال المعلم : بسبب حسن إدارتك .

ولم تكن مصادفة أن تقف بجانب المقهى أعداد سيارات الأجره الذاهبة والآيبة . وقد اتخذتها مكاناً تأوى إليه . البعض كان يطلب شاياً أو قهوة أو حلبة أو غيرها من المشروبات ، والبعض الآخر كان يدخل المطعم طلباً للفول أو الفلافل أو لبعض الحلويات ، تلك التى ظلت تصنعها عجيبة للرواد .

وجاء جندى يوماً يسأل : أين سيرك المعلم البندقى ؟ أجاب زيد ؛ كان هنا . وسمع المعلم يقول : أنا سلمان البندقى ٠٠

سأل : وأين لوزه سلمان البندقى؟ فبرز المعلم سلمان وهو يسأل :

- ماذا كفى الله الشر؟

قال : نريدها فى مركز الشرطة ٠

سأله زيد ، وكان جالساً عند الخزانه : ماذا حدث؟

- لا أدرى ٠٠ ولكنها ستعلم هناك ٠

وأخذه المعلم ومضيا ومعهما لوزة للمركز ٠٠ أيكون قد جد جديد فى قضية نبيل فخرى ؟ ٠٠ أيكون قد ظهر له ورثة يريدون المطالبة بالحق المدنى ؟ ٠٠ ولِمَ يلجأ الورثة إلى الشرطة؟

وفى المركز قال النقيب : هل لك زوج اسمه عابد محمود حسين؟

قالت : نعم .. تركنا منذ خمس سنوات واتجـه إلى العراق ٠ ولم نسمع عنه شيئاً ٠٠ قال النقيب : البقيه فى حيـاتك ٠ وفغرت لوزة فمها وقالت : ماذا حدث ؟ ٠ مات ؟

قال : وصلت جثته أول أمس إلى مطار القاهرة يمكنكم استلامها من هناك ·

وانفجرت لوزة مولولة والمعلم البندقى يطيِّب خاطرها ويحاول تهدئتها ·· وحينما جفت الدموع وهدأ الصراخ سألت : كيف مات ؟· قال النقيب : أعتقد أن هناك تقريرا يأتى مع الجثة ·

أقيم مأتم قرأ فيه شيخ ما تيسر من آى الذكر الحكيم ، بعد أن سافر المعلم البندقى وزيد لاستلام الجثة · وكان عابد محمود حسين غير معروف الأصل ، هو الآخر ·· وقال المعلم وهو يستلم الجثة : كأنى أبٌ لهذا العالم كله ·· لكن ما باليد حيله، إنه والد حفيدى ، ولا بد من أداء الواجب · وكان سرحان يجلس بين المعزيين بالقرب من زيد متورم العينين ، لم يكن يفكر فى أبيه كثيراً حينما انقطع عنه وعن أمه ، لكن نبأ وفاته زلزله ، شعر كأنه أصبح وحيداً بلا عائل مع أنه لم يكن يعوله · واستغرب هذا التقرير المقتضب الوارد مع الجثة وهو يبين سبب الوفاه كسر بالدماغ ·· ولكن من الذى قتله ؟ وما هى أسباب قتله ؟ ·· وراح زيد يفسر لنفسه أن الأمر لا بد أن يكون متعلقا بالسياسة ، لكن هذا الفلاح ما وجه اشتغاله بالسياسة ؟ لم يكن زيد يقرأ جرائد الصباح منذ غادر قريته إحدى العادات التى سقطت معه عقب مغادرته القرية ، لذلك لم يكن ملماً

بالأحـداث التى تحيطه · وجاء عبد الحفيظ ليجلس بجانب زيد ويقول له :

- الأحداث كبيرة وبعيدة عنا ولا نعرف عنها شيئاً · سمعت أن العلاقات متوترة بيننا وبين العراق · ولذلك يسلط العراقيون على قتل المصريين خاصة الذين يثيرون الشغب ·

- وما علاقة فلاح يروى ويزرع أرضه بالسياسة ؟

- يقال إنهم كانوا يطالبونه بالأرض بعد أن يزرعها وتصبح خصبة فامتنع عن تسليمها فتخلصوا منه ·

- أمعقول ذلك ؟

- هذا ما سمعته ·· وأنا أعرف عابد ، كان هادئا مستكيناً ، ولا أعتقد أنه اشتغل بالسياسة فى العراق · بل قد يكون أجاد فى زراعة أرضه فجاء الوقت الذى يطالبونه بها فتحداهم وقتلوه ·· ولم يكن هناك إلا قليل من النساء جالسات مع عجيبة ولوزة ، وقد ارتدين السوادَ حزناً على الفقيد · وبكت لوزةُ بكاءً مراً على حظها الأسود · ما تكاد تنتهى من آلام حتى تأتى إليها الآلام فى صورة جديدة ·

قد أغلقت المقهى والمطعم فى ذلك اليوم ، غير أن مع باكورة اليوم الثانى ، بدأ العمال يضعون الكراسى والمقاعد والمناضد · بعد أن مسحوا الأرض بالماء ، ورشّوا الأرض المليئة بالحشائش الواقعة أمامهم ·

وجاء زيد من شقته التى يقيم فيها مع عبد الحفيظ وبعض العمال ، ليباشر عمله اليومى . أعتقد أنك الآن راض عن حياتك بعد أن تحولتَ من حاو إلى محاسب . ويكفى أننى حر وليس هناك امرأة تنغّص علىَّ حياتى ، ولا أولاد يعاملون أباهم معاملة سيئة تشجعهم أمهم على تلك المعاملة . لكن ألا تناقش نفسك الآن وتعرف أسباب ضعفك تلك التى أدت إلى انهيار حياتك ؟

.. السبب معروف ، إننى تزوجتُ امرأةً لا تحبنى . لعلى اتبعت الطريق التقليدية فى الزواج ، وضغط أبوهـا عليها ، وزوّجها إياى ، ولم تكن تحمل لى أية عاطفة . وكانت الكراهية مرتفقا خصبا اتكأ عليهـا قبلها ، بل لعلها كانت تكره أن أدنو منها . أتكون قد أحبت رجلاً قبلى ، ولما تقدم للزواج منها ، ضاع أملها فى الاقتران من حبيبها ، لذلك كرهتنى .. ولِمَ لَمْ تصارحنى بذلك ؟ كنتُ قد طلقتها بإحسان . وأين هى المرأة يا زيدان التى تصارح زوجَها بحب كان فى فؤادها ؟ .. الغريب أنها كرهتنى وجعلت أولادى يكرهوننى . فماذا يفعل إنسان طيب مثلى بين وحوش ضارية ؟ لقد حاولتُ أن أروّض هذه الوحوش، لكن طاقتى خذلتنى .. فماذا تنتظر منى غير أن أجرى كالعبد الآبق ؟ لتكن صريحاً مع نفسك . أنت انسان ضعيف.. ضعف أمامها ، وانحدرت إلى آخر درجات الضعف مع ابنائك. أنت لا شئ .

وجاءت لوزة ، وقد اتشحت بالسواد ، وألقت عليه تحية الصباح . وتوجهت إلى المطعم لتباشر أعمـــــالها .

كانت تحادث نفسها : لـــمَ بكيتُ ؟ . . أبك على رجل ناقص هرب منى . . نعم بكيت على الأيام الحلوة التى قضيتها معه ، وبكيتُ على الأيام المرة التى عشت فيها معه بكيتُ على حظى ، لا . . لم أبك عليه ، إنما بكيتُ قدَرى المنكوب فلطالما عاتبنى أبى على تعلقى برجل لا أصل له ، زرعٌ شيطانى ، ولكن أهوائـــى حكمـــــتنى ، وكم كنت خائبة وأنا أتشبث به . وعندما هرب المرة الأولى وعاد ، عاد قلبى يخفق له . . أليس هو أب طفلى الصغير ؟ كيف يتربى الإبنُ بعيداً عن أبويه ؟ . . لكنه خذلنى للمرة الثانية ترك السيرك وراح يعمل فى أرض جنت عليه سلبته روحُه المهم الآن أصبحتُ حرة لا تشغلنى هموم .

وعند الظهيرة يجتمع العاملون فى المقهى والمطعم ليأكلوا غذاءهم . كانت تجهزه كالعادة عجيبة وترتبه لوزة . لكن لا يزال المعلم البندقى يقيم تفرقة بين أسرته وبصحبتها زيد وعبد الحفيظ وبين بقية العاملين . سُنَّة استنها البندقى وأصبحوا على قواعدها يسيرون .

وقال المعلم البندقى .

- الحمد الله على كل حال تمكـنّا الآن من أن نرفع

رأسنا · كادت الديون تنخفض وتسدد أقساط البنك فى مواعيدها ، ولولا التقاء المكان بعدد من الطرق لكنا توقفنا . لكن فى النهاية الفضل كله للوزة صاحبة الفكرة ولهذا الرجل · - زيد الذى غمرنا بفضله ·

يستنكر زيدُ كلامه ويقول :

- الفضلُ للهِ ولمن اقتنع بالفكرة ·

تدخل سرحان وهو يقول : الفضل لله · أليس كذلك يا عم عبد الحفيظ ؟

يهز الرجل رأسه وهو يقول : الفضل كله لمن تنازل عن ملكية هذه الأرض للمعلم البندقى ·

يقول المعلم : يا رجل أستلعب على بعضنا البعض ؟ ·

يغمس لقمة فى الصحن ويدفع بها إلى فمه وهو يقول مبتسماً ·

- أرض أجدادى يا معلم ·

يضحكون جميعهم · · وقد نسوا أحزانهم عفواً ·

## (١١)

كأنما كان وضعُ سرحان الاجتماعى مخجلاً باعتباره حفيد صاحب السيرك لذلك انفض عنه الأصدقاء ، وحينما تغير الوضع وأصبح حفـيد صـاحب مطعم ومقهى ، بدأ يتردد عليه الأصدقاء · كانت السنة قد انتصفت وجاء أصدقاء سرحان إليه فى أثناء العطـلة الدراسـية · وجلسوا معه عند المقهى يشربون الشاى ويتمتعون بشمس فبراير الجميلة ذات الحرارة غير اللاسعة ، دنا منهم زيد وقال :

- ماذا تفعلون يا شباب ؟

قال واحد منهم : نناقش استذكاراتنا ·

قال سرحان يقرر لهم :

- هذا عمى زيد · · ولكنه خبير فى الكيمياء ·

قال آخر الأربعة الذين يحيطون المائدة ·

- وأين تعلمتها ؟

قال زيد بهدوء ، وسرحان مذهول :

- أنا بكلوريوس علوم قسم كيمياء ·

طأطأ سرحان رأسه من هذا الكذب الواضح .. كيف يكون أمين صندوق فى مقهى له هذه الشهادة العالية ؟

وسأله ثالث قائلا:

ولِمَ لم تشتغل بالتدريس ؟

- أسباب خاصة

سأله الرابع قائلا :

- إذاً يمكن أن تعطينا درساً فى الكيمياء ؟

- وما المانع .. شخلل جيبك تجد ما يسرك .

- وبكم تكون الحصة ؟

- لن نختلف .. اذهب إلى والدك وقل له إن هناك مدرساً للكيمياء وأنا أريد أن يعلمنى ويعطينى دروساً فما هى مقدرتك يا أبى ؟ وتعال بعد أن تعرف مقدرته .

قال أول الطلاب هامسا : ألا تعرفون أن دروس الكيمياء نار ؟

قال الرابع : اسكت انت .

وحينما انصرف الطلاب الأصدقاء عندما انتصف النهار .

أسرع سرحان إليه يعاتبه : كيف تقول لهم انك بكالوريوس علوم يا عم زيد · قال له وانشغل عنه : أنا لا أكذب · ·

ذهل سرحان وحاول أن يكلمه ولكنه تشاغل عنه · · فانصرف سرحان وذهب إلى أمه ينقل إليها الخبر · واستغربت الأم ثم قالت : على العموم لقد كان يلعب لعب الحـواة بأستاذية يا سرحان · وتركها سرحان ليذهب الى الشقة التى تخصه وجده ووالدته · ووجد جده يلعب ألعاباً رياضية تعويضاً عن تلك الألعاب التى كان يلعبها أيام السيرك وروى له القصة ·

قال الأب : كنت أحس أن وراء هذا الرجل سراً كبيراً ·

وفى المقهى ، كان زيد يناقش نفسه قائلا : لِمَ كشفت عن نفسك ؟ · · آن الأوان لهذا الكشف · وهؤلاء الأولاد لو لم يأخذ أحد بأيديهم فقد يرسبون ، ولكن من قال لك أنهم سوف يأتون ؟ لا أهمية لذلك · · ولا أهمية أن يعرف الجميع أننى مدرس · حقاً لا زلتُ أحتفظ بالوظيفة فى البطاقة الشخصـية - إننى فلاح · · وذلك من أجل الحيـازة الزراعية ، ولو أنى أعمل مدرسا ·

ولم يمض يوم إلا وجاء الأربعة يطلبون المدرس ويضعون أجورا متواضعة لكن زيد قبلها · وقال : هذه بداية · وعقد الدرس فى ساعة المغرب حيث يقل عدد المترددين على المقهى -

فى حجرة · وسمح لسرحان أن يحضر الدرس · ولم يكن سرحان يصدق أن زيدا يعرف شيئاً فى الكيمياء وحينما بدأ فى شرح كيمياء السنة الثالثة الثانوية برموزها المعقدة ، أدرك فعلا أنه أستاذ · وفوجىء بانسياب الدرس إلى أذهان الأصدقاء الأربعة ، حتى دهش سرحان ، إنه كان يحفظه قبل أن يخطو خطوة خـــارج الفصل · واستغرب سرحان أن زيداً كان يشرح الدرس بتمكن ولم يكن يقرأ من أى ورقة ·· أو قرأ من قبل فى كتاب ، اللهم إلا حينما كان فى بداية السنة يسترجع معه المقررات ·

ولم تختلف معاملة سرحان لزيد بعد ذلك ؛ كان يحترمه ويقدِّره فى البداية ويعامله كأبيه · وزاد احترامه وتقديره له بعد ذلك · وسأله :

- لِمَ أخفيتَ عنا حقيقتك يا عمى زيد ؟

واستملح زيد كلمة «عمى» وقال دون أن يعلق عليها :

- لم يكن هناك داع لإظهار الحقيقة ·

كان يجب أن يأخذ فرصة يعالج فيها نفسه · لقد هرب من نفسه قبل أن يهرب من أسرته ، وها هو ذا يعود إلى نفسه بصورة جديدة ·· وألح عليه سؤال جديد : أيعود إلى أسرته أيضاً بصورة جديدة ؟

عند شجرة الجميز ليلاً ، وقد أغلق المطعم أبوابه ، والمقهى قد قلّ فيه الرواد ، أخذ كرسياً وجلس عند الشجرة .. كم تغيّر الوضعُ ، كان لا يستنكف أن يقعد على الحشائش بجانب تلك الشجرة الوارفة الظليلة ، ولكنه الآن يمدُّ يدَه ليحرِّك كرسياً ليقعد عليه مع نسائم الليل العليلة ، لا يفكر أن يجلس على الحشائش ونور المقهى يُلْقِي شعاعَه عليها فيكسبها رونقاً . على رأى المثل كل وقت وله أذان .. والآن وهو أمين خزانة المقهى يختلف عن أيام كان حاوياً . ولما قفلت لوزة المطعم واستلمت المفاتيح من العامل ، جرَّت هى الأخرى كرسياً من المقهى وتوجهت إلى هذا الانسان المستوحد . ورأت أن تجالسه وهى تقول :

- ما شاء الله .. حاوى ومدرس ؟

وأكمل لها الكلمات : وأمين صندوق مقهى .

وتسأله ، وهى تجلس : هل اشتغلتَ مدرساً قبل ذلك ؟

- نعم ثلاث وعشرين سنة .

تكاد تصعق وهى تقول : ثلاث وعشرين سنة .. إذاً ما الذى جعلك تفارق التدريس وتعمل حاوياً ؟

يقول زيد بصدق : كنت فى أزمة .

تتساءل فى استغراب : ماهذه الأزمة التى تجعل انساناً يغير جلده تغييرا كاملا ·

يقول محاولاً التمويه : ليس الإنسان ولكن الثعبان هو الذى يغيِّر جلده ،أنا نفيت نفسى وتم النفى باختيارى ·

تقول لوزة بعتاب : أنا أقصد الحقيقة لا الملاوعة ·

يقول زيد : الحقيقة معقدة ؛ تراكماتُ السنين زادتها تعقيداً ·· حتى أفلت العيار رغم إرادة الإنسان ··

تقول لوزة : مادمتَ لا تريد أن تقول ·· فلا تجبر نفسك على القول ·

يقول زيد : يا ست لوزة سوف أقول : أنا الابن الوحيد لرجل ثرى من أثرياء المنيا·

تقاطعه : المنيا ؟ لكنك تتكلم لهجة فلاَّحى ··

يقول : وأتكلم لهجة قاهرية أيضاً ··

ثم يستطرد قائلاً : لَمْ تكن تعنينى ثروة أبى بمقدار ما كان يعنينى الشهادة الدراسية · وأتممت كلية العلوم قسم الكيمياء ·· وخُطفت على الفور كمدرس كيمياء فى مركز مغاغة ·· وكان المركز قريباً من القرية التى يقيم فيها أبى ··وفيه أراضيه الزراعية .

واوصتنى أمى قبل أن تسلم الروح أن أتزوج ، ولم يكن قد مضى على اشتغالى بالتدريس سنتين ·· ولم أتمكن فى السنة الثالثة أن أجد بنت الحلال ، فكان من العيب أن أتزوج أو أخطب ووالدتى متوفاه ·· وخطب لى أبى فى السنة الرابعة فتاة من عائلة مستورة ·· ويبدو أن هذه الفتاة التى تزوجتها كانت على علاقة عاطفية برجل ما ·· لا أعرفه ·· ورغم أنها عاشت معى وأنجبت منى ، غير أن العلاقات بيننا كانت متوتِّرة توتراً مستمراً ·· حاول أبى أن يعقد اكثر من صلح بيننا ففشل . وكان من العيب أن أطلِّق وليس هناك ما يستدعى ذلك ·· كلها أشياء صغيرة لا تستطيع أن تكف عنها ولا أستطيع أن أتحملها · حاولت السيطرة علىّ ، ففشلت ، واتقدَّت النار المشتعلة بيننا بعد وفاة أبى لكنى لم أطلقها ، كانت قد أنجبت ثلاثة أولاد وكان من العار أن أطلقها ، وأشتت شمل عائلتى ، واجبى على الأولاد · ويا ليتنى طلقتها ولاأرى الأولاد وهم يكبرون ويشربون من ماء أمهم المر ·

تسأل لوزة مستغربة وهى تقاطعه :

- مثل ماذا كانت الخلافات ؟

- فى كل شىء ·· كنت أنا آكل أصنافاً من الطعام لا تحبها ، وهى تهوى أصنافاً من الطعام لا أريدها · وتصر على طبخ الأصناف التى تحبها وتنسى أصنافى المفضلة · فماذا يفعل الرجل حينما تُرَصّ المائدة ولا يجد عليها ما يأكله · يغضب

وينصرف ويأكل فى الخارج ، خارج القرية فى المركز ، لأن القرية خالية من المطاعم · وكانت لها اتصالات بعائلات رفضت أنا علاقتهم ، وأصررت على ألا تزورهم ، فما كان منها إلا أن ضربت بكلامى عرض الحائط · وفى الليل حينما أطلبها تبدو وكأنها داخلة الى نار جهنم ، وتستسلم بقرف وزهق · بل قد لا تجعلنى أستكمل رغبتى ·وكثيراً ما تشاجرنا بسبب هذا البرود والقرف · ونتخاصم أسبوعاً أو أسبوعين لا يكلم أحدنا الآخر · وهى تتعمـــد أن تطيـل أيام الخصام حتى أزداد عذاباً وأشعر بالهوان · ·

وتسأل لوزة : والأولاد ؟

- شربوا الصنعة التى تتقنها أمهم ، وصاروا يتجرأون علىَّ كلّما كبروا ، كانوا فى صغرهم يحبوننى ، وفى كبرهم بلاسبب إذا قلت شمال قالوا يمين واذا قلت شرق قالوا غرب · أفلت زمامهم من يدى · ولم أكن قاسيا بطبعى فأهملت أن أتحداهم أو أناقشهم حتى افتروا · · واتضح فى النهاية أن ذلك كان بتحريض من أمهم ، جعلتهم يعتقدون أن أباهم عدوٌ لهم ·

- وماذا فعلت ؟

- تركت لهم الجمل بما حمل - وغادرتُ مركـــز مغاغـــة · · والصعيد كله · · · حتى جئت إلى الوجه البحرى فى مدينتكم · وكان ما كان · ·

– ولِمَ لم تطلب نقلك من مركز مغاغة وتحتفظ بوظيفتك ·

– الأزمة التى كنت أعانى منها سيطرتْ علىَّ حتى وجَّهتنى ·· ولم أفكر فى الانتحار · كنتُ عاقلاً ·· ولكنها جعلتنى أهدم نفسى ·· خفْتُ أن يعرفوا طريقى · ويتصلّوا بى لأنى لو نُقلت سيعرفونَ إلى أى مكان نُقلت ، ثم إن النقل ليس سهلاً كما كان فى الزمن الماضى ؛ المحافظات تُقفل على أبنائها ولا تنقل إلا من هم من خارجها ·

– هل تسمح لى أن أقيِّم عملك ؟ ·· هذا جنون مطبق ·· تترك ثروتك وأراضيك الزراعية وتغادر موطنك لسبب أن امرأتك نغصت عليك حياتك · أنا كنت لا أعيب على زوجى المتوفى عابد أنه تركنا ، ذلك لأنه كان يسعى إلى الرزق · أما أنت فالرزق فى يديك تلفظه وتتشرد فى القرى والنجوع ··

– أنا لم أخرج خالى الوفاض · كان معى بعض مدخراتى ·

– مهما كان ··

– هذا ما حدث ·· فلا تنكأى الجرح من جديد ·

– لكن لا أفهم كيف فقدت سيطرتك على أولادك وأنت الرجل ؟

– حَظِّى العَثِر · أعتقد أن ابتعادى فى الصباح عنهم بسبب

انشغالى بالتدريس ، وفى العصر بسبب انشغالى بالزراعة . بالإضافة إلى ما بذرته أمهم من بذور الكراهية فى قلوبهم ، كل ذلك جعلهم يتمردون ويتحدون ويتمادون فى قلة أدبهم ويخالفون أوامرى أو يقفون ضد رغباتى . والغريب أن أمهم كانت تكرهنى ولا أعرف السبب ، وواصلت الحياةَ معى . ولم أسمعها تطلب الطلاق منى مرة من المرات فى المشادات المختلفة بيننا . كنت كلما رأيتها أشعر بأن أعصابى تتوتر وتبدأ فى المشاحنات بسبب وبلا سبب . من ناحيتى كنت لا أفكر فى طلاقها بسبب أولادى وخوفى من تشردهم وتشتتهم بيننا . ومن ناحيتها كانت لا تطلب الطلاق حتى أتشجع وأطلقها.. ولكنى لم أفعل أبداً . كأنما كانت تقول لى : أكرهك ولا أقدر على بعدك ، علاقة غريبة حقاً سببت لى أزمة حادة أخذت تتفاقم وتتزايد حتى جعلتنى أفكر فى الهرب من حياتهم ..

- وما هى القشة التى قصمتْ ظهرَ البعير كما يقولون ؟

- الحقيقة لم تكن هناك قشة .. إنما هى فكرة أخذت تراودنى منذ خمس سنوات وتضغط علىَّ . هى أن أفُكَّ وأهرب من هذه الأسرة حتى أننى لم أكن عملياً فى تصرفاتى ، فخرجتُ دون هدف وقد حملتُ معى مدَّخراتى . وتركتُ لهم خطاباً أقول لهم فيه إننى أترككم ولا تبحثوا عنى.

- لا أصدق.

- على العموم اعفيني من ذلك الآن . لأني كلما تذكرتُ ذلك الموقف الذى قصم ظهر البعير .. تألمتُ وشعرتُ بتوتر شديد . أخشى فيه . لو رويته أترككم وأذهب.

- على راحتك.

- المهم كيف حالك أنت الآن؟

- أخيراً هدأت نفسى .. لا تتصور الأيام العصيبة التى مرت عليَّ فى الحبس الاحتياطى . كنت كلما تذكرت أننى قتلت إنساناً أرتعد وأخاف وأتشنج ثم أقنع نفسى بأنى ما قتلته إلا دفاعاً عن النفس . ولو كنتُ طاوعته لانتهى شرفى إلى الابد . ثم أعود وأتذكر قرار وكيل النيابة بإحالتى الى المحكمة . وأرتعد من جديد وأخاف وأكاد أتقيأ ، ولازمني الأرق طوال فترة السجن، حتى أن المسجونات سمّونى : يا مسهّرنى ..

ثم تلتفت وتقول له :

- أنا نصيحتى لك أن تعود إلى أهلك ، فلستَ أنت أهلاً لهذه الحالة التى تعيش فيها.

يقول على الفور :

- الحقيقة أننى تعرضت لأزمة نفسية قاسية ، وإذا الأزمة تمكنتْ فإن كل شىء ينهار.

* * *

## (١٢)

فوجىء زيد ، وهو يلقى أحد دروسه على الطلاب الأربعة بأحدهم يقول له :

- والدى يريد أن يراك يا أستاذ زيد .

وسأل زيد : أيأتى هنا أم أذهب إليه ؟ . ومتى يريد أن يرانى؟

قال الطالب : أعتقد أن .. ثم قطع كلامه قائلا : لا أعرف .

ضحك زيد وقال : أنا لا أفارق هذا المكان .. فاذا كان يريد أن يأتى لمقابلتى فليأت .

قال الفتى : سأقول له .

سأل زيد : ألا تعرف فيما يريدنى؟

قال الفتى : لا أعرف ..

سأل زيد : ماذا يعمل أبوك؟

قال الفتى : صاحب مدرسة خاصة .

وفهم زيد أن الرجل يريد أن يكشف عن حقيقته وما إذا كان

مدرساً أم مدعياً . غير أن فكر زيد لم يذهب الى بعيد · لقد جاء الرجل فى اليوم التالى · وطلب من زيد أن ينضم الى هيئة التدريس بمدرسته الخاصة لأنه يحتاج الى مدرس كيمياء · وجادله زيد فى الأجر ، فوجد أن الرجل سوف يبخسه حقه ، فرفض · قال له : لقد كنت أتقاضى ما يزيد على المائة وخمسين جنيها غير الحصص الإضافية ، ثم تأتى لتقرر مبلغاً مثل المبلغ الذى قدرته الآن ؟! قال الرجل : أنت تعرف أن المدرسة خاصة ، ومصاريفها كثيرة · قال زيد : ابحث لك عن آخر · حاول الرجل أن يضغط عليه وقال : لكن عملك هذا الذى تعمله لا يليق بك ولا يبلغ دخلُك منه ذلك المبلغ الذى تدَّعيه · قال زيد بإصرار : هذا العمل ليس له أهمية عندى · إنه تسليه · ينهض الرجل وهو يقول : اتفقنا وتعال غداً إلى المدرسة لتوقيع العقد وتقدِّم لى مستنداتك الوظيفية .

قال زيد : إن شهاداتى ليست معى وسوف أستخرجها لك ·

وجلس زيد فى المساء عند شجرة الجميز يفكر ؛ هل يعود إلى مركز مغاغة من جديد · ويقدم طلباً بتسوية حالته حتى يصرف المعاش المقرر له · · أم يترك الأمر نهائيا ويسحب فى الوقت نفسه شهاداته ؟ لا يمكن أن يقبل أن يستمر فى هذه الأزمة إلى الأبد · لايجوز له أن يستسلم لها بحال من الأحوال · حقاً

إنه ترك امرأته وأولاده وهم سبب الأزمة ، ولكن ليس معنى ذلك أن ينتحر اجتماعيا . واذا كانت المدرسة فى مغاغة . فالقرية بعيدة عنها . ولن يتسنى أن يشهده أحد . لكن ابنك الكبير سبب المصائب فى المدرسة يدرس الثانوية العامة مثله مثل سرحان ، وقد يراك . واذا لم يرك من هو فى السنة الثالثة فسوف يراك من هو فى السنة الاولى .. لا داعى للذهاب الى المدرسة فى مغاغة وليحدد عنواناً لصندوق بريد معين فى المدينة .. ويطلب من المدرسة مراسلته عليه .. يرسلون إليه خلوّ طرف ويحولون المعاش على مصرف المدينة الذى ادخر فيه مدخراته . ويرسلون إليه أوراقه الخاصة ومستندات تعيينه . لا يجوز له أن يفقد كل شىء .

وجاء سرحان يحمل كرسياً . وهو يقول :

- ألا زلت تجلس وحدك يا عم زيد؟

- وأنت ألم تكن تجلس وحدك من قبل؟

- أنا كنت أفكر وأتأمل .

قال زيد وهو يبتسم :

- وأنا ايضاً أفكر وأتأمل .

- فيم تتأمل يا عمى؟

واعرضّت ابتسامته ، وهو يقول في الكون . أفكر فى عظمة الله وبديع صنعه . إن العلماء يجب أن يدركوا أن الكون هذا قد وُضع على أساس خطة معينه لا تخيب

ذُهل سرحان من كلامه ، وهو يقول

- لم يخلق الله الكون باطلاً سبحانه . فمثلاً لا يمكن أن تكون الشمس خُلقَتْ اعتباطاً لأنها تمد كل الكائنات الحية بالحرارة ولا يمكن أن يكون خلقْ النبات صدفة ، وخلقُ الكائنات الأخرى الحيَّة صدفة انظر تجد أن النبات يأخذ ثانى اكسيد الكربون من الجو ويعطى الأكسجين ، بينما الكائن الحى ومنه الإنسان يأخذ الاكسجين ويعطى ثانى اكسيد الكربون ... فلو كانت كل الكائنات تعيش على الاكسجين وتطرد ثانى أكسيد الكربون فى عملية التنفس لما كان هناك اكسجين بعد عدد من السنين والشمس ذاتها موضوعة خطتها على أساس ملايين السنين تظل مشتعلة تطرد شعاعاً بعد آخر وتوزعه على كواكب المجموعة الشمسية أعتقد أن على العلماء أن يبحثوا فى هذه الخطط حتى يدرك الإنسان عظمة الله

قال سرحان . تصور أن هذا ما كنت أفكر فيه . فاترك لى ذلك حينما أدخل كلية العلوم قسم طبيعة سوف أدوِّن بصبر تلك الظواهر

ثم قطع سرحان كلامه : هل أنت متزوج؟

ارتبك زيد وظن أن أمه قالت له ما دار بينهما من حديث ·

فسأله : لِمَ تسأل؟

قال سرحان : أعتقد يا عمى زيد أنك لو كنتَ متزوجاً لكان لديك ولد فى عمرى ·

قال زيد : هناك ثلاثة أولاد · واحد منهم فى عمرك وهو الآن فى الشهادة الثانوية مثلك · والثانى فى السنــة الاولى الثانوية · والثالث فى السنة الثانية الاعدادية ·

وألح سرحان فى الأسئلة : ولِمَ تركتهم؟

قال ضاحكاً :عُرِضت علىَّ وظيفة حاو فى سيرك المعلم البندقى فقبلتُها ·

وفهم سرحان أنه لا يريد أن يجيب ، فضحك مجاملةً للنكتة ، ثم كفَّ عن الأسئلة ·

وفى اليوم التالى كتب زيدُ رسالةً الى مدير المدرسة بمركز مغاغة ، يطالبه فيها بتسوية معاشه وقبول استقالته · وبتحويل أوراقه ومستندات تعيينه على صندوق بريد رقم ١١٦ أشمون بالمنوفية · وأرفق به خطاباً خاصا إلى المدير يطلب منه أن يكون الأمر سرياً للغاية وألّا يطلع أحداً من أولاده عليه · ثم ذهب

لمقابلة ناظر المدرسة الثانوية الخاصة ليحرِّر معه عقد العمل · وبعد أسبوعين وصله أول وآخر خطاب على صندوق البريد وبه كافة الأوراق · وشهادة ميلاده وشهادة البكالوريوس ، وإخلاء طرف من المدرسة ، وإخطار بتسوية معاشه ، وطلب منه موافاة المدرسة برقم حسابه فى بنك يحدده ، وموافقة البنك على تحويل المعاش إليه ، وخطاب خاص من المدير يتأسَّف على اتخاذه هذه الخطوة ، ويرجوه أن يرجع عنها ، ووعدَه بحفظ سرِّه لأنه يعرف ظروفه وأسباب اتخاذه هذه الخطوات المجنونة التى اتخذها ، ويدعو له بالتوفيق فى مستقبله·

وكان زيد قد التقى بسليمان البندقى وقال له :

- لقد افتضح أمرى أخيراً · وقد رجعتُ إلى رشدى كما ترى · وقبلتُ أن أعمل فى المدرسة الثانوية الخاصة بالمركز ·· كل ما أطلبه فقط أن تؤجر لى الحجرة التى أعطيتنى إياها حتى أجد لى مسكنا·

أخذ سلمان البندقى يهز رأسه وهو يقول:

- خدعتنا فعلا ·· فلاح ثم حاوٍ ·· واتضح انك كبير الحواة

ضحكا معاً ، والبندقى يواصل كلامه:

- أما الحجرة فهى لك دون إيجار · أما حكايتك فأنا لا

أريد أن أسمعها لانك تتكتمها وقد نزلت بيننا على الرحب والسعة . ولتستمر على الرحب والسعة .

قال زيد بتأثر : شكراً يا معلم سلمان . . أنتم كنتم نعم الأهل والصحبة ولسوف تستمرون نعم الأهل والصحبة . لقد التئمتْ جراحى عندكم . وقد كدتُ أيأس من حياتى وأبكى حَظِّى العَثِر دوماً . غير أنى تعلَّمْتُ لديكم الحـب والوفاء والتعاون . . وكل الأخلاق الفاضلة .

قال سلمان البندقى : إننا لا ننسى أبداً أنك أرشدتنا إلى الطريق الصحيح ، وكنتَ فاتحة خير لنا ، وهذا بالنسبة للمطعم والمقهى . ويكفى أنك كنتَ تدير أحدهَما دون أن أتسأل مرتبا أو تشترط شرطا . وبفضلك تمكنّا من تسديد أقساط كثيرة علينا . . لا أنسى أبداً وقفتك معنا هنا حينما رفعنا القضية . ووقفتك معنا فى محنة لوزة . كما وقف المحامى الشهم الأستاذ عبد الجواد . لقد رفض أن يتقاضى رسوم قضية لوزة . وقال إنها ابنتى . وهو يدافع عن الحق ، يدافع عن بريئة .

قال زيد : أنت نعم الأب وابنتك نعم البنت .

وكانت عجيبة تعد شاياً أحمر اللون فسألت : وعجيبة؟ .

قال : نِعْمَ الأم . .

ثم قال زيد ضاحكا : نعم الأخت .

وجلجلت ضحكاتهم · ودخل سرحان يبحث عن زيد ويقول :

- أين أنت ؟· الأولاد جاءوا للدرس·

ويذهب اليه زيد ، وقد شعر أنه يسترد كرامته · وأن قامته قد طالت ، وتمنى أن يكون له ابن مثل سرحان فى أدبه وأخلاقه الحميدة · كيف لم يستطع أن يربى؟

إذا كانت زوجه الثرية المتكبرة هى التى ربت أولاده الثلاثة فبئس التربية·وإذا كانت لوزة الفقيرة عاملة السيرك قد ربت سرحان . . فنعم التربية. . فشتان بين تربية الثرية الكارهه وبين تربية الفقيرة المحبة · شتان بين نبات الأرض الجدباء وبين نبت الأرض الخصبة·

## (١٣)

كان مجموعه يؤهله لدخول كلية الطب ، لكنه قرر دخول كلية العلوم ، كان يقشعر بدنه من الـدم والمشرحة ورائحة الأدوية · وقد يكون هناك روائح كريهه فى معامل الطبيعة أو الكيمياء لكنها ليست بالصورة الموجودة فى كلية الطب ·ورفض أن يلتحق بكلية إقليمية قد تكون قريبة فى طنطا ، وفضّل أن يسجل اسمه فى كلية العلوم بالقاهرة · هى رسالة آل على نفسه أن ينجزها · هدفه أصبح يضعه نصب عينيه · أن يعرف روائع الله على الأرض وتلك العلاقات المتشابكة بين الإنسان والأشياء

والأحياء · وقد يتفرغ بعد ذلك لدراسة الفلك · ولم يعترض مكتب التنسيق على طلبه ، ويلقى به فى كليه إقليمية لأن درجاته لم تكن تسمح له بالاعتراض ، كانت تملى شروطها·

وسأله أحد الطلاب:

- مجموعك كبير فما الذى جاء بك الى كلية العلوم؟

أجاب بفخر : هواية·

وكان يقرأ الأسماء فقال : هاهم ثلاثة آخرون مثلى درجاتهم عالية وجاءوا الى كلية العلوم ·· أحمد فخر الدين محمد ، بركات السيد عبد المولى ، وذلك الأخير تامر زيدان الكومى · وكان الطلاب مجتمعين حول الأسماء يقرأونها وقد علقت فى لوحة بكلية العلوم · فسمع طالب يقول : أنا بركات ·· هل أحد يريدنى؟شعر سرحان عابد بالحرج وقال : أبدا ·· كنا نقرأ أسماء المتفوقين الذين دخلوا العلوم ولم يدخلوا الطب · قال بركات : أنا أهوى الجيوفزيك ··أفكارى كلها محصورة فيها · فكيف لا أدخلها وأفضل عليها الطب · وكان آخرٌ ينصت ولا يتكلم · وقد طالت لحيته وشاربه واستنتج سرحان أن يكون هو تامر زيدان لكنه لا ينطق ، ثم تجمعوا أمام مسجل السنة الأولى وقدموا صورهم لأخذ أوراقهم·

وفى قسم الطبيعة قرأ المدرس الأسماء · فنطق تامر زيدان

الكومى ونهض يقول : حاضر · كان ذلك الشاب ذا اللحية والشارب المحفوف · وقال له المدرس : لم تطلق لحيتك ؟ أجاب تامر قائلا : أبداً · · سنةعن الرسول عليه الصلاة والسلام· فسأله المدرس ألاتعرف أنها قد تؤذيك فى تحركاتك· أجاب تامر : مادمت أسيرعلى الصراط المستقيم فإن أحـــداً لن يتمكن من إيذائى · قال المدرس : أنت حر · ثم نادى بعد ذلك : سرحان عابد محمود · أجاب سرحان : حاضر · · وحينما انتهى المدرس من تسـجيل حضور الطلاب · وألقى محـــاضرته وانصرف · مال سرحان على تامر وقال : كنت واقفا ونحن نشيد بالطلاب أصحاب المجاميع العالية وفضلوا دخول كلية العلوم ، وكنت منهم ولم أتكلم · أجاب تامر باقتضاب : سمعتك تتكلم ولكن لم تسألنى شيئاً ، فلِم أتكلم ؟ · · حاول سرحان أن يجره إلى الحديث جراً ، لكنه كان لا يبغى الكلام ، يبدو عليه الحزن القاتم والاستسلام الى الاكتئاب · غير أن سرحان لم يكن بالشخص الذى يُهزم · عاد يسأله : هل أنت من شبان القاهرة؟ قال باختصار : لا أنا من الأقاليم · قال سرحان يحاول أن يدفعه إلى الحديث : أنا من محافظة المنوفية وأنت؟ · · قال : أنا من الصعيد · · قال سرحان : لهجتك تدل عليك · ثم قال سرحان يسأله : هل التحقت بالمدينة الجامعية ؟ أجاب باقتضاب :نعم · قال سرحان بفرح : اذاً سنكون زملاء فى الدراسة والسكن · غير

أن تامراً بدا عليه الامتعاض لهذه الصحبة .. وليس هذه الصحبة بذاتها ، إنما من أى زمالة وصداقة.

لاحظ سرحان انطواءه الشديد وابتعاده عن المشاركة . حاول أن يتقرب منه . لكنه وجده يتباعد عنه . كان يريد أن يقول له كل ما فى الكون مؤقت له مكان وله زمان وهو كأشياء متعددة أو أشخاص متعددة أو كائنات متعددة ولا يمكن أن تكون بداية الكون شبيهه بالكون . إنها بداية صِرْفة ليس قبلها بداية أو بعدها نهاية . وحتى تكون كذلك يجب أن تكون أزلية ولا تنتهى ، وهى لا مثيل لها . وهذه الصفة لا تنطبق إلا على قوة خالقة غير مخلوقة ، تشكل الأشياء ، وقد وضعت نظاماً للكون يسير عليه فى كل لحظة وفى أى مكان فيه يهدف الى إنشاء كائنات كاملة ولو أنها متغيرة . لكن تامر لم يكن يأبه به ،ولما كانت حجرته قريبة من حجرته فى المدينة الجامعية حيَّاه تحية الإسلام ، وقفل عليه الباب ، وبعد قليل سمع صوته يقرأ القرآن الكريم.

أدرك من الوهلة الأولى أن ذلك الشاب قد أصيب بالاكتئاب ، وهو يحاول أن يشفى نفسه بترتيل القرآن الكريم لعله يبرأ من الغمة التى أصابته . ولم يحاول فى اليوم التالى أن يتقرب منه وتباعد عنه . غير أنه صادفه وهما يأكلان الطعام ووجد تامر يتكلم معه كأنما زهق من حياة الوحدة ، وسأله تامر قائلا :

- ولم التحقت بكلية العلوم - أنت - رغم مجموعك العالى؟

قال سرحان صراحة:

- هدفى أن أدرس الكون ·· لأصل الى الله العلى القدير·

قال تامر بأسف :

- ألا يكفيك ما جاء فى القرآن الكريم ؟· ألست مسلماً ؟

قال سرحان : - يكفى أن رب العالمين أمرنا أن نتدبر الكون ونتأمله ·· إن أفكارى لن تكون سوى تبصير الناس بعظمة الخالق·

قال تامر : لن تنتهى إلا كمدرس فى المدارس الثانوية·

قال سرحان : أبداً ·· سوف أستمر حتى أقوم بتحضير الدكتوراه ·· وأكثر من دكتوراه ·· وأنت؟

- أنا أريد أن أعود إلى قريتى ·· وأحقّق رسالة أبى الذى تركها·

- أى رسالة؟

- رسالة التدريس·

- ولم ترك التدريس؟

- ظروف·

عاد تامر من جديد الى الاقتضاب ، لكن سرحان اقتصر، غير أنه بدأ يحادثه من حين لآخر ·· سواء فيما بين المحاضرات ·· أو فى قاعة الطعام ·· أو وهما يصليان الظهر أو المغرب أو

العشاء فى المسجد ، لكن حينما حاول سرحان أن يتحدث إلى تامر بشأن آيات وجود الله بطريقته التى يفكر بها . خاف أن يتحدث إليه؛ فقد يتهمه بالخروج عن الدين ذلك لأنه متعمق وقد يكون تعمقه سبباً فى غضبه ، فلا يكون فى حلم عم عبد الحفيظ إنما قد يكون فى قسوة هؤلاء المتشددين ، يراهم كثيراً فى الجامعة ويتحاشاهم .

ثم فترت العلاقة بين سرحان وتامر لاختلاف الطبائع . ولكن عادت وتوثقت ثانية . حينما ذهب سرحان الى مسجد الحسين للصلاة فى يوم الجمعة .. وكان الخطيب فى ذلك اليوم قد جعل الخطبة تدور حول الأبوين والبر بهما .. وطفق يخطب حتى كادت العيون تدمى ، ثم كفت الدموع عن الانهمار حينما أقيمت الصلاة . وصلى سرحان النافلة ، ثم توجه إلى الله أن يلهمه سواء السبيل وأن لا يخفى الحقيقة عنه وإلا يجعل الشيطان يزيغ قلبه . وأخذ المصلّون يتسربون واحداً وراء الآخر . حتى انفض الجمع الكبير .. ووجد سرحانُ تامرَ جالساً أمام الضريح .. وقد انهمرت الدموع كوابل من عينيه . وتقدم منه ولمسه : لِمَ تبكى يا تامر ؟ قال له : أتركنى أندب حظى .. وأستغفر ربى .

قال سرحان : أحوالك لا تعجبنى .. ماذا حدث لك؟

**قال تامر : أنا لم أكن باراً بوالدىّ . . وذلك ما يقضّ مضجعى . . أنا مضطرب ياصديقى . أعيش فى دوامة من الندم تدور بى دون نهاية لدورانها .**

ربت عليه سرحان وقال: **ما قصتك بالضبط ؟ أجاب تامر:** أنا ولد عاق يا سرحان . ربتنى أمى تربية سيئة فى غفلة من أبى . وشببت أتهجّم عليه . وفى مرة خرجت أنا وإخوتى فى رحلة إلى القاهرة دون إذنه وبتشجيع من أمى ، وحينما عدنا حاول أبى تأنيبنا . فوجدونا أن الأمر ليس فيه جريمة وغيابنا عن البيت دون إذنه لن يخرق الأرض . ضربنى فصددتُه بل تعديتُ عليه وهو ينهانى وأنا أزمجر كالذئب . لم تؤنبنى أمى، بل شجعتنى . لا أعرف أسباب كراهيتها له رغم أنه رجل صالح . . وإنسان طيب . وفى اليوم التالى لم نجد أبى . . ترك لنا البيت . . دارت بى الدنيا . وكرهت أمى . واضطربت حياتى . . ولم أجد غير التوبة . ورجعتُ إلى الدين أنهل منه . وصممت أن أترك لها البيت أنا الآخر وهى فرحة بغياب أبى . ولم يكن أمامى إلا أن أستوعب دروسى بقوة وأن أغيب عن البيت بعذر لوجودى فى جامعة بعيدة . ولم يكن هناك أبعد من القاهرة . . فلن تفكر أن ترانى ولن أفكر أبدا أن أراها . . ترسل لى النقود بالبريد . وأنا لا أخاطبها . واليوم والشيخ يذكرنا بالبر بالوالدين تذكرت أننى أخطأت فى حق أمى مثلما أخطأت فى حق أبى .

نهض سرحان وربت على كتف تامر ، وقال له :

- انهض . . لستَ أول من ترك البيت وترك أمه . أنا ايضا ترك أبى البيت هجره ليعمل فى العراق . وعاد . . ولكن فى تابوت . صُرع هناك ولا ندرى السبب . وهأنذا تركتُ أمى وحيدة لأواصل تعليمى . . وكلنـا سنعود إليها . وازدرد تامر مشروب التمرهندى ، بينما كان سرحان يشرب حلبة حصا . وراح سرحان يتأمل الناس وهم يسيرون فى الشارع ، وتذكر أمه ذات القلب الصامد ، لم يبد عليها القلق أو الحزن، حينما اختار كلية العلوم بالقاهرة . لم تكن تدرى شيئا عن العلم ، ولكن كانت تفيض عليه حنواً وتشجعه أن يسلك الطريق الذى يحبه . ولو أن جده كان يعترض على غيابه الذى سيطول فى القاهرة . لكنه خفف عنهم البلوى بأن قال إنه سوف يراهم فى أيام الخميس والجمعة . فالسيارة العمومية بين اشمون والقاهرة لا تستغرق ساعة ، لكن سرحان اكتشف أن يومين سيضيعان دون مذاكرة . فقَّرر أن يراهم فى أجازة نصف السنة الدراسية .

والتفت سرحان إلى تامر :

- لكن ألم يتصل بكم أبوكم حتى الآن ؟

- مرَّ أكثر من سنة . . لم يتصل . .

ـ قلبه قاس ذلك الإنسان .

لا . . أنا أعذره . . لقد فاض به الكيل .

حينما حانت أجازة نصف العام الدراسى قال سرحان :

- ألن تسافر إلى بلدكم؟

قال تامر بحنق :

- لا أدرى . . كيف لا أستطيع؟

- ما رأيك لو جئتَ معى إلى بلدنا؟

- اذهب أنت .

- يا رجل لو لم يعجبك الحال فَعُدْ ثانية إلى المدينة الجامعية . ثم استطرد - ثم اننا نسكن على أطراف الريف . . وبالقرب من مدينة أشمون سوف يعجبك المكان كثيراً .

ألح سرحان كثيراً فاستسلم تامر لإلحاحه . وركبا معاً السيارة العمومية . ودفع سرحانُ ثمن التذكرتين . كان جده يغدق عليه فكانت السيولة المالية تجرى فى يده . ثم ركبا سيارة أجرة بدأت تزدحم كلما ترك السائق وسط المدينة . ثم طلب سرحان من السائق أن يتوقف . وسارا قليلاً حتى وصلوا البيت . وما كادت أمه تراه حتى تلقفته فى أحضانها . ثم ضمَّه جده إليه وقد أغرورقت عيناه بالدموع .

* * *

## (١٤)

وقالت جدته، وهى تغرقه فى أحضانهـــا : ربنا يحميك يا بنى. . وشاهدوا جميعا تامر واقفاً عند طرف الباب، وقال سرحان له: ادخل. . هذا صديقى تامر من الصعيد، ولكنه فضّل أن يقضى معى عطلة الأسبوعين هنا.

جلس سرحان على الكنبة بجانب جده وتامر أما وأمه وجدّته فجلستا أمامهم. ثم نهض سرحان قائلا : تعال أعرفك بأجدع رجل فى الدنيا. وكاد تامر ينهض ، غير أن أمه قالت : لا تتعب نفسك. إنه ليس هناك. قال: أين ذهب؟ قالت : أجر شقة فى المدينة ويعيش فيها. قال سرحان: هل تعرفون مكانها؟ قالت باختصار: لا. . ولاذت بالصمت. يبدو أنه لا يزال يعانى من أزمته النفسية. حقاً انطلق قليلاً من إسارها وقَبِل أن يكون مدرساً بدلاً من حاوٍ أو محاسب فى المقهى ، غير أن الأزمة لا تزال متمكنة منه ، وقد قال يوماً إن الأزمة إذا تمكنت فإن كل شىء ينهار. . ولكن لوزة لا تزال تعيش على أمل. . لا تعرف كيف تفتح قلبها فى حينه كالوردة إذا تفتحت فى مواجهة الشمس. أبعد أن اكتشفت أنه ليس حاويا، وأنه استاذ كبير له خبرة ثلاث وعشرون سنه فى التدريس؟ . . رجل محترم تخفَّى وراء زى المهرج. لا. . إن قلبها لم يتفتح ناحيته فى هذا الوقت.

إنما وقت أن وقف مع أبيها، وهو لا يدفع له أجراً، ودفع له أتعاب المحامى من أجل الاستيلاء علي قطعة الأرض .. بل وبعد ذلك انطلقت من القلب طاقات جيّاشة تكشف عن صورته فى صدرها حينما وقف معها فى محنتها. كان يزورها فى الحبس من حين لآخر. يذهب إليها حاملاً لها غداءها ، ولم يطالب أبوها أبداً بثمنه. ظهر أمامها أنه نبيل.. فارس.. من العصور الوسطى يضحّى بهنائه من أجل الآخرين غير أنها أحست أن قلبه لا يزال مغلقا.. أغلقته تلك المرأة التى صنعت الأزمة من البداية. كيف تعامل هذه المرأة ذلك الرجل الهادىء الطيب تلك المعاملة ؟. أليس لديها إحساس أو بقية من ضمير ؟. وبأى قلب عاشت معه كل هذه السنين ؟ تأكل من خيره وتنغص عليه عيشته؟.. وأولاده .. ماذا فعلوا به؟ إنه لأمر كبير ولكنه يخفه. إنه كتوم لا ينطق بالسر. يكتفى بما أصابه من " مرمطة " لا يريد أن يعرفها كثير من المشاهدين ولكن متى ينفتح قلبه ؟.. وهل يتفتح لها.. هى بنت صاحب المطعم والمقهى الجاهلة ذات الولد ، وهو صاحب الجاه والشهادة وربما الحسب ؟

أمضى تامر الوقت فى القرية منطوياً صموتاً مكتئباً يهرع إلى الصلاة مع الجماعة فى الزاوية القريبة من المقهى. ويلحق به سرحان مستغرباً انعزاله. ثم يعود يقرأ فى كتب الدراسة باستغراق كأنما يريد للزمن أن يجرى وينتهى من واجبه. وسرحان يسير فى

ركابه ولا يفكر فى شىء غير أن يشاهد أستاذه زيد من جديد لكن زيداً لا يأتى. . لعله سافر فى اثناء العطلة الدراسية إلى بلد يستجم فيه.

* * *

## (١٥)

محصول كبير اجتناه سرحان عن روائع خَلْق الله. وتتبع ذلك التصميم العجيب فى الخلق. وكان يدوِّن كل ما يقع عليه. يريد أن يعرضه على أستاذه زيد. الوحيد الذى كان يستمع إليه باستغراق وتأمل، كان يريد للأيام أن تجرى حتى يراه. الوحيد الذى كان مقتنعا بفكره وبأنه لم يخرج عن الصراط المستقيم. ولما انتهى العام الدراسى قفل عائداً إلى القرية من جديد. وقال له جده : أنا تعبت من المحاسبة فى المقهى. . أريد أن أخرج للتريض من وقت لآخر. . حتى لا يكلّ جسدى من الجلوس. فأنت عليك بالقيام بواجب المحاسبة حتى تفتتح الدراسة من جديد.

وأجاب سرحان : وهل أنا أستكبر ياجدى؟

كان لا يزال هناك عبد الحفيظ يدير صندوق الدنيا للأطفال لحسابه الخاص. ولا يزال هناك أحد عمال السيرك السابقين يقوم بإعداد الشاى والقهوة والقرفة والحلبة وغيرها للزبائن. وآخر يقوم بتقديمها إليهم. وأمسك سرحان بكتاب ليقرأ فيه وهو على

استعداد لتلقّى نقود العملاء٠

وجاء عبد الحفيظ وهو يقول:

- فات زمان يا سرحان٠٠ لم نرك٠

- قال سرحان: طلبُ العلم يا عم عبد الحفيظ ٠( ثم يتساءل ): ألم يكن جدى يفكر أن يشترى تلفزيونا وفديو لتشغيله بالمقهى؟

- كان يفكر ياولدى٠٠ ولكن النقود قصرت معه٠

- كيف؟

- أشياء كثيرة٠ سعر الطوب قد ارتفع٠ وسعر الكراسى٠٠ وسعر المؤن ٠٠ إلى آخره٠٠ وأنت دخلت الجامعة وتحتاج إلى مصاريف٠ ثم كما ترى ؛ المقهى على الطريق٠ من ذا الذى سوف يجرى إليها وينتظر ساعةً أو ساعتين فيها ليرى التلفزيون أو يشاهد رواية فى الفيديو٠

ولم يكن ينطق التلفزيون والفيديو صحيحاً، مما أثار الضحك فى نفس سرحان ، غير أنه كتمه حتى لا يعتقد أنه يسخر منه٠

ثم سأل سرحان : ألم يعد الأستاذ زيد مرة أخرى ؟

قال عبد الحفيظ : يبدو أنه مشغول بالدراسة٠٠ ولكن الآن قد يكون مشغولا بتصحيح أوراق الثانوية العامة٠

- إنه فى مدرسة أهلية يا عم عبد الحفيظ .

لا . . أعرف أقول قد . . ربما . . والغائب حجته معه . غير أن المثل انطبق فى الحال، حينما قال عبد الحفيظ:

- حكينا فى سيرة للقط فجاء ينط .

رآه سرحان أمامه فانتفض مرحباً ، شخصاً آخر مختلفاً عما كان . ارتدى رداءَ الأفندية فظهر بمظهر وجيه . . ووضع على عينية نظارة زجاجية جميلة الإطار . . ولو أن ملابسه صيفية غير أنها محتشمة ، وطالت فترة احتضانهما . ثم قال عبد الحفيظ : أسوف تحتكر احتضانه وحدك يا سرحان ؟ . واســـتدار زيد ليقبل عبد الحفيظ . وذقنه المدببة غير المحلوقة تشكه شكا . . ثم سأل زيد ضاحكا : أما زالت الست لوزة تدير المطعم ؟ . وخرجت لوزة من المطعم وقلبها ينتفض ، وهى تقول : أهلاً . . أهلاً . . أنا لا أصدق . من هذا ؟ . . ماذا فعل بك الزمان؟ . . قال وهو يصافحها بامتنان : « حاو .. أليس كذلك ؟ » ، وضحكوا جميعا وتذكروا الأيام الخوالى .

بعد أن ذهبوا إلى الجد والجدة ، عادوا من جديد إلى الجلوس تحت شجرة الجميز ، وقد تركت عندها أعداد من الكراسى والمناضد لمن يرغب أن يستظل بظل الشجرة ، أو يرغب أن يستقبل نسائم الغروب تحتها .

وقالت لوزة· عاش من شافك؟

قال زيد: عشتِ ·

سأل سرحان: أين تقيم؟

قال زيد: فى بيت متواضع·· وليس مثل هذه الدار الجميلة·

سأل سرحان: ألن تعطينى عنوانك حتى أزورك·؟

قال زيد: وما المانع؟

وأخرج بطاقةً كتب عليها عنوانه وأعطاه إياها·

قالت لوزة : سأل عنك سرحان فى الأجازة الماضية·· ولكنك لم تظهر !

- الحقيقة كنتُ مشغولاً للغاية· لقد أسند إلىَّ الناظر تدريسَ مادة الكيمياء فى السنة الثالثة ، بجانب أننى كنت أعطى دروساً بالمجان للطلاب·

قال سرحان: ولِمَ أخذت من زملائى الأربعة؟

ضحك زيد وهو يقول: كانت حالة ضرورة··· حتى أعيش··

قالت لوزة ساخرةً: لقد أردتَ أن تعلن عن نفسك ولم تجد غير هذا الطريق·

قال زيد غامزاً : يمكن. ولكنى الآن من أصحاب المعاشات. فقد قررت لى الوزارة معاشاً وأرسلته على عنوانى ، والمرتب فى المدرسة معقول.. وأنا الآن اعيش فى هناء وصفاء..

قالت لوزة: يا سرحان اذهب لرؤية الصندوق.. لا تجلس معنا هنا..

ونهض سرحان وهو يبطىء. ثم حينما غادرهما تساءلت لوزة : ألم تُصِفّ نفسك نحو زوجتك وأولادك؟

قال: لا زلت أتألم.. كلما مرتْ بى ذكراهم.

قالت : يبدو أن كسر قلبك لم يكن هيناً.

قال ضاحكاً : القلب هو العضو الوحيد الذى لا يمكن أن يوضَع فى قالب من الجبس حتى يَسْلَم.. إنه عضو حساس مرهف.

قالت: وستتركها هكذا معلقة؟

قال: يمكنها أن تطلب الطلاق على اعتبار أننى خرجت ولم أعد ولا أتكفل بها ولا أنفق عليها. ولكنها لن تطلب ، إنها تستفيد من أطيانى ولعلها تديرها وتأخذ ريعها باسم الأولاد وباسم أنها لاتزال زوجتى ، وسوف ترثنى يوم أموت على اعتبار أنها زوجتى.

**رمته بنظره طويلة ثم سألت : أمعقول هذا أن تترك كل ما تملك تستغله امراة كرهتك ؟**

هز رأسه وهو يقول: الحقيقة يا ست لوزة٠٠ لن يأخذ الإنسان شيئاً معه٠ وكل ما كنت سأملكه سيؤول فى النهاية لهم٠ وقد اعتبرت نفسى يوم غادرتهُم أننى متُّ٠٠ فهل أحمل شيئاً معى فى كفنى؟

قالت لوزة : بعد الشر عنك٠٠

قال زيد فى حزن : يا ست لوزة٠٠

نهرته وهي تقول: ما ست لوزة هذه؟

ضحكا معاً وهو يقول: لا أعرف لكنى أقدِّرك وأحترمك٠

كانت تريد أن تسأله: ألم تفكر أن تقترن بأخرى تساعدك فى طريق الحياة وتدير لك شئون بيتك ؟ بيد أنها أحجمت إذ شعرت أن كبرياءها تقف حجر عثرة فى طريقها٠ غير أن الأمل كان يخفق فى قلبها٠ وتحقيقه كان يتلألأ فى عينيه٠

* * *

## (١٦)

عند محطة السيارة العمومية المتجهة إلي القاهرة٠ وقف سرحان ينتظرها بفروغ صبر٠ كان يريد أن يذهب ليشاهد نتيجة

السنة الدراسية. كان يثق فى نفسه. لكن طريقة الإجابة. التى كانت باللغة الانجليزية لأول مرة فى حياته كان تشككه فى المستوى الذى سيصله.. ورأى على المحطة المقابلة ابنَ الناظر الذى يعمل فى مدرسة عمه زيد. وناداه قائلا : يخرب بيتك أين أنت ياولد؟

- من ؟.. سرحان عابد ؟..

وانتقل ابن الناظر إلى سرحان يضمه إليه بشدة ويسأله سرحان: أين أنت ؟.. قال: رسا بى الحال على تجارة طنطا. قال: أنا الآن فى جامعة القاهرةكلية العلوم أدرس الطبيعة . قال ابن الناظر: مبروك. وسأل سرحان مداعبا: إذن أنت لم تستفد من دروس الأستاذ زيد فى الكيمياء ؟.. تساءل ابن الناظرقائلا: من الأستاذ زيد هذا ؟.. قال سرحان بغضب: ذلك الأستاذ الذى كان يدرِّس لنا الكيمياء فى منزلى وطلبه أبوك ليعمل عنده فى المدرسة. شوَّح ابن الناظر وقال: ليس اسمه زيد.. قال سرحان مستغرباً : إذن ما اسمه؟.. قال : على ما أذكر زيدان الكومى. قال سرحان فاغراً فاه : ماذا تقول ؟ زيدان الكومى؟؟

قال الشاب مؤكداً : نعم.. زيدان الكومى.

وجاءت السيارة العمومية واستقلها سرحان ، وهو لايزال مذهولاً. وتملكه الذهول طويلاً ثم نفضه عنه وقال:

- لو كان تامر ناجحاً فسوف تكون فرحته فرحتين. دخل

عليه فى الكلية وهو يشاهد النتيجة ، فرآه سابحاً في بحر من الفكر يبدو مضطرباً. وكان قد اطلع على نتيجته فوجد أنه قد أبلى بلاء حسنا ، وإن كان قد فاقه كثيراً. وبادره قائلا : مبروك الجيد يا عم تامر. قال بلا مبالاة: مبروك لك أنت الامتياز. قال متسائلا: أتعرف السبب الذى جعلك تحصل على هذه الدرجة؟

قال مستغرباً : أأنت تعرف؟.. قال: نعم ؛ لأن بالك مشغول.. ابتسم ابتسامة فاترة . وسمعه يقول: ولكنك لن تكون مشغول البال بعد اليوم. سأضيف إلى فرحتك المليئة بالحزن فرحة أخرى وتجعلها فرحتين كبيرتين ، ستكون الفرحة الجديدة صابونة تغسل كلَّ ما لَوَّثَ الفرحة الأولى. استغرب من الكلمات وقال: ما هذه الألغاز.؟ أجاب قائلا : ليست ألغازاً ولاشيئاً آخر إنما حقائق. لقد عرفتُ أين يقيم أبوك.. اهتز وهو جالس لا يبالى ثم قال: كيف عرفتَ؟.. أجاب سرحان وابتسامة تزغرد على وجهه: إنه كان يعيش معنا منذ زمن. أتذكر أنك حينما زرتنا أننى أردت أن أعرِّفك بشخص ما ؟ ذلك الشخص كان أباك. كنت أعرفه باسم زيد واتضح أن اسمه زيدان الكومى.. نهض تامر مشدوداً وأمسك به وهو يقول والتوتر يجتاحه من أوله إلى آخره : خذنى إليه. وكانت الدموع تتساقط ولا يجرؤ أن يمسحها ظناً أن أمره فى كتمانها لم يفتضح. فى الطريق، شرح له الموقف كاملاً وسأله: أيغفر لى؟

قال سرحان: إن قلبه كبير.

ودق سرحان باب الشقة التى يسكنها زيدان. وكان قد عرفها وزاره فيها ، وانتظر قليلا حتى فتح ، فرآه زيدان أمامه ، وقد احتجب تامر وراءه. وقال له:

- لدى اليوم مفاجأة لك.

- ما هى المفاجأة يا أبا المفاجآت ؟

- عرفتُ اخيراً أن الله قد خطط الكون كله ويعرف كل تصاريفه من الألف إلى الياء ، عرفت ذلك من خلال هذه المفاجأة.. دعنِى أقدِّم لك تامر زيدان الكومى.

ذهل زيدان ، وهو يواجه وجه تامر ، ولم يدر كيف يتصرف ويصفق الباب فى وجه ذلك الذى اعتدى عليه يوماً وآزره أخواه وأمه تكيل له المديح أم يعانقه ويأخذه فى احضانه ، فهو - مهما حدث - ابنه ومن صلبه ، أما أمه فلا صلة لها به. ووقف تامر ينتظر منه إشارة واحدة تدل على العفو ، وسرحان واقف مضطرب : أيعفو ذلك الرجل ذو القلب الكبير ؟ أم يقفل الباب غضباً فى وجهيهما؟..وأخيراً تقدم زيدان ليضم ابنه ودموع الولد سبقته إلى المآقى ، وسالت حتى الخدين ، والاضطراب قد سيطر عليه. غير أن حضن أبيه خفف من التوتر شيئا. كيف امحت العداوة التى أقلقته عاماً كاملاً فى ثوانى ؟.. وكيف تغاضى عن

أفعاله فى لحظات ؟· وكيف غفر له ؟· لا يعرف·· ثم قال لهما: أدخلا·· أدخلا

وقال سرحان يحاول أن يذيل كل ما علق بالموقف من كهرباء صاعقة : تامر زميلى·· فى الكلية·· نجحنا معاً ونُقلنا إلى السنة الثانية·

وعاد يحتضنه من جديد وهو يقول: مبروك لكما ·

ثم احتضن سرحان وقال له: كنت أدرك مقدماً أنك ستنجح·

وقال الأب الحنون: ستأكلان معى·· لقد صنعت صينية بطاطس باللحم·· لعلكما لم تأكلاها منذ نعومة أظافركما ·

قال تامر وهو يتأمل أبوه بعمق: كنتُ جائعاً قبل أن ألقاك· ولكن الفرحة قتلت الجوع·

قال الأب ضاحكاً : وهل الجوع يُقتل يا سيد تامر ؟· إنه مثل القطط له أرواح سبعة·

حينما انتهوا من الوجبة الدسمة · وكادوا يشطبون على الصينية والسلاطة·والأرز· سأل تامر بخوف: ألن نذهب معاً يا أبى إلى القرية ؟

قال الأب بثقة: أنت عرفت مكانى ، فتعال لزيارتى كلما

شعرت بالحنين إليّ. واذا كان واحد من أخويك يريد أن يأتى فتعال معه. أما العودة إلى القرية فذلك أمر مستحيل.. ( لا يمكن أن أعود إلى هذه المرأة المستبدة الحقيرة ،إن الألم لايزال فى ضلوعى. هكذا همس لنفسه ) . وسوف تكبر بل أنت الآن كبير ، فأدر لى أطيانى هناك . وتعال كل سنة حاسبنى ، إذا شئت. أو انتظر حتى تنتهى من دراستك واترك الأمور على ما هى عليه. وبعد ذلك أدر هذه الأطيان.. أما أنا فقد غيرت طريقى وبنيت طريقاً جديداً.. ولكنه لا يمر بالقرية أبدا...

* * *

الرياض فى ٢/٤/١٩٩١م

## للمؤلف

| | |
|---|---|
| - اللقمة فى يد النساء | ١٩٧٧ |
| - بذور | ١٩٨١ |
| - وقائع غير مرئية تحت الشمس | ١٩٨٧ |
| - لآلىء الزمن الخالى | ١٩٨٧ |
| - خذ الحذر | ١٩٨٨ |
| - غالبا ما يتفتح الزهر | ١٩٨٨ |
| - السفر إلى زمن ميت | ١٩٨٩ |
| - بعد فوران الحمم | ١٩٨٩ |
| - الدكاكين الصغيرة | ١٩٩٠ |
| - لو أعلنت الحقيقة | ١٩٩١ |
| - نفحات من العطر المعتق | ١٩٩٢ |
| - الجرى وراء الأهواء | ١٩٩٣ |
| - العودة إلى الحياة | ١٩٩٣ |
| - انقلاب فى الثلاثين | ١٩٩٤ |

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب

٨٦٨٠/ ٩٤

الترقيم الدولى

I . S . B . N . 977 - 241 - 129 - 6